

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

محمد عبد المنعم خفاجي

(1915 - 2006)

نصوص ودراسات



انتخبها وقدم لها

الدكتور محمد مصطفى أبو شوارب

1989 - 2009
الذكرى العشرون



محمد عبدالمنعم خفاجي

(١٩١٥ - ٢٠٠٦)

نصـــوص ودراســـات

انتخبها وقدم لها

الدكتور

محمد مصطفى أبوشـــوارب

الكويت

2009

راجعــــه

محمود إبراهيم البجالي

الصــف والتنــفيــذ

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

إخراج وتصميــم الغــــلاف

محـمـد العـــلي

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

928.1962 أبوشوارب، محمد مصطفى.

محمد عبدالمنعم خفاجي (1915 – 2006): نصوص ودراسات/ انتخبها وقدم لها

محمد مصطفى أبوشوارب.–ط1.– الكويت:

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2009

200 ص؛ 24 سم.

ردمك : 9-61-72-99906-978

1.محمد عبدالمنعم خفاجي 2. الأدباء المصريين – تراجم

أ. العنوان ب. مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري. الكويت (ناشر)

رقم الإيداع : Depository Number:2008 / 447

ردمــــــك: ISBN : 978 - 99906 -72 - 61 - 9

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف 22430514 فاكس 22455039 (00965)

E-mail : kw@albabtainprize.org

التصدير

في غمرة الإعداد لاحتفال مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بمرور عشرين سنة على إنشائها وانطلاقتها للمرة الأولى من القاهرة في العام ١٩٨٩، نتذكر باحترام الجهود الخيرة للأيادي البيضاء التي امتدت بحب للأخذ بيدنا ومساعدتنا في هذه المرحلة الحاسمة.

وقد رأت المؤسسة أنه من الوفاء أن تحتفي باثنين واكبا هذه المرحلة، مرحلة إنشاء المؤسسة، حيث أسهم كل منهما بما لديه من جهد وفكر وخبرة، مما رسخ أقدامها حتى استوت على سوقها.

والرجلان هما الشاعر عدنان الشايجي الذي وقع عليه الاختيار ليكون أول أمين عام للمؤسسة، فأفادت من نشاطاته وعلاقاته وشاعريته لمدة تقرب من السنتين ١٩٨٩ - ١٩٩٠م.

والثاني هو الشاعر والناقد الأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي، الذي ومن خلال موقعه في رئاسة رابطة الأدب الحديث في القاهرة، مدّ يده للمؤسسة معيناً بفكره النيّر وآرائه السديدة، فأسهم بجدّ ونشاط في جهود التأسيس والتشكيل، وترك بصمات تقدرها المؤسسة حقّ التقدير.

لذا أطلقت المؤسسة على مناسبتها اسم «ملتقى عبدالمنعم خفاجي وعدنان الشايجي» ولم تكتف بذلك بل رأت أن من الواجب التذكير بهما بإصدار كتاب تذكاري عن كل منهما.. والكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ هو عن الدكتور خفاجي الرئيس الأسبق لرابطة الأدب الحديث.

ومحمد عبدالمنعم خفاجي، الشاعر والدكتور والعالم الموسوعي ترك كنزاً من المعارف، فقد كتب في مختلف العلوم الإسلامية، وكتب في الشعر والبلاغة والنقد وتاريخ الأدب العربي وأعلام الأدب وتحقيق التراث والنحو واللغة والتاريخ، وغير ذلك الكثير في مجالات الآداب والعلوم، نترك لك عزيزي القارئ الاطلاع على بعضها حيث ورد الكثير من عناوينها في مستهل هذا الكتاب.. والمكتبة العربية زاخرة بهذه المؤلفات.. هذا عدا عن دواوينه الشعرية التي أصدرها عبر سنوات حياته الطويلة (١٩١٥ - ٢٠٠٦) في شتى الألوان والأغراض الشعرية حيث أمدّ الحركة الإبداعية الشعرية العربية بما يقرب من عشرين ديواناً من الشعر الأصيل.

وهذا الكتاب يتناول لُمحًا من فكره وعطائه وإبداعه الشعري وشيئًا من كتاباته وبعض المقالات التي كتبت عنه وعن تراثه ومؤلفاته..

والحمد لله من قبل ومن بعد.

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في 26 من رمضان 1430هـ

الموافق 16 من سبتمبر 2009م

****

المقدمة

محمد عبدالمنعم خفاجي.. اسم صنع بجهده وعطائه تاريخًا عريضًا في خدمة اللغة العربية والثقافة الإسلامية، واستطاع عبر مشوار حياته الطويل (١٩١٥ - ٢٠٠٦م)، أن يحجز لنفسه مكانًا بارزًا بين الفاعلين من أبناء عصره، وأصحاب التأثير الإيجابي في نفوس من اتصلوا به، وصاحبوه الدرب، وفي عقولهم ووجداناتهم.

ولد الخفاجي في ١٩١٥/٧/٢٢م بقرية تلبانة مركز المنصورة، محافظة الدقهلية، وبدأ رحلة حياته بحفظ القرآن الكريم، وتعلم طرفًا من الثقافة الدينية في كتّاب القرية على عادة أهل عصره. وفي عام ١٩٢٧م التحق الخفاجي بمعهد الزقازيق الأزهري، حيث واصل تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي، وفي هذا المعهد الكبير التقى نخبة من الشباب الوطني المكافح في سبيل حرية بلاده واستقلالها، فلعب مع زملائه دورًا بارزًا في سبيل هذه القضية الكبرى. وقد انتخبه زملاؤه نائبًا لرئيس اتحاد طلاب أبناء الشرقية في مدينة الزقازيق، ذلك الاتحاد الذي تولى رئاسته آنذاك العلم الكبير فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله، وكان لهذا الاتحاد دور وطني كبير سجلته صحف هذه الفترة، خاصة جريدة الجهاد.

وفي عام ١٩٣٦م تخرج الخفاجي من معهد الزقازيق والتحق بكلية اللغة العربية بالقاهرة، متابعًا دراسته العلمية ونشاطه الثقافي والسياسي جميعًا. ولقد كانت فترة الدراسة الأزهرية على امتدادها من أخصب فترات حياة الخفاجي، خاصة مدة دراسته بكلية اللغة العربية التي تأثر باثنين من أعلامها إلى أبعد حد، وهما الأستاذ الإمام الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش عميد الكلية آنذاك وشيخ الأزهر فيما بعد؛

والأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار علماء الأزهر؛ فكان لهذين الأستاذين ولآرائهما في الفكر والإصلاح أكبر الأثر في تكوين شخصية الخفاجي العلمية والثقافية.

وخلال هذه الفترة شارك الخفاجي زملاءه في شتى منازع الحراك الطلابي بتوجهاته المختلفة دينية وثقافية وسياسية واجتماعية، وكان من أوثق زملائه صلة وارتباطًا به، أصحاب الفضيلة الشيوخ محمد متولي الشعراوي، إمام الدعاة، وعبدالحليم محمود الإمام الأكبر وشيخ الأزهر الأسبق، ومحمد عبدالرحمن بيصار الإمام الأكبر وشيخ الأزهر الأسبق، وجاد الحق علي جاد الحق الإمام الأكبر وشيخ الأزهر الأسبق، ومحمد خاطر مفتي مصر الأسبق، ومحمد السعدي فرهود رئيس جامعة الأزهر الأسبق وصهر الخفاجي، ومحمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر.

وما إن تخرج الخفاجي سنة ١٩٤٠م حتى التحق بقسم البلاغة والأدب بالدراسات العليا بكلية اللغة العربية، وعكف على دراساته إلى أن تخرج عام ١٩٤٤م حاملاً شهادة النجاح في الامتحان التمهيدي لشهادة العالمية من درجة أستاذ بعد أن قدّم بحثًا بعنوان «التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي». وفي عام ١٩٤٦م نال الخفاجي شهادة العالمية من درجة أستاذ (الدكتوراه) بعد أن نوقشت رسالته الجامعية عن «ابن المعتز تراثه في الأدب والنقد والبيان».

وعلى الرغم من تفوق الخفاجي الظاهر في جميع مراحل دراسته؛ إلا أنه لم يكن مقتصرًا على الدرس والتحصيل العلمي فحسب، بل خاض الرجل غمار الحياة العملية، فاشتغل مصححًا بجريدة السياسة اليومية الشهيرة عام ١٩٣٦، ١٩٣٧م وعمل بعدها مراجعًا بجريدة الأهرام إلى سنة ١٩٤٤م، ثم محررًا بجريدة الأساس حتى سنة ١٩٤٦م وإلى جانب ذلك كان الخفاجي مدرسًا للغة العربية بمدرسة الليسيه فرانسيه فرع شبرا من سنة ١٩٤١م إلى سنة ١٩٤٦م. وفي عام ١٩٤٦م عين الخفاجي أستاذًا للبلاغة في معهد أسيوط الأزهري، ثم انتقل في العام التالي إلى معهد الزقازيق الذي

كان طالبًا فيه من قبل، وظل به إلى أن عين مدرسًا للأدب والبلاغة بكلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٤٨م. واستمرت رحلة الخفاجي مرتقيًا أرفع الدرجات العلمية، ومتبوئًا أعلى المناصب الجامعية حتى بلغ سن التقاعد عام ١٩٨٠م.

ولم يتوقف عطاء الخفاجي العلمي والفكري والثقافي، فظل مشاركًا حتى آخر أيام حياته في المحافل والمنتديات الأدبية والدينية المختلفة، علاوة على عملة الجامعي وانغماسه في الكتابة والتأليف، حتى خلَّف لنا عشرة وخمسمائة كتاب تتنوع بين الكتب الإسلامية والتراجم الأدبية وكتب التاريخ والدراسات الشعرية، وكتب اللغة، وكتب البلاغة، وكتب النقد، علاوة على دواوينه الشعرية، وكتب التراث التي قام بتحقيقها، وسلسلة الدراسات الأدبية، وغيرها كثير، على نحو استحق معه الخفاجي، من وجهة نظر الكثيرين من الذين عرفوه وصاحبوه - أن يلقب بإمام العلماء، وجاحظ العصر، وسيوطي العصر... وغيرها من الألقاب التي وصف بها هذا العالم الأزهري الموسوعي الذي ترك بصمته على عصره وعلى جيله، وعلى رافد من أهم روافد الثقافة الإسلامية الحديثة وهو الأزهر.

ويرى كثيرون أن الجانب الأخطر في حياة الخفاجي الثقافية، والمجال الأكثر ثراء وعطاء فيها، هو عمله من خلال رابطة الأدب الحديث التي ورثت جماعة أبولُّو. وقد انتخب الخفاجي نائبًا لرئيسها الناقد الكبير الأستاذ مصطفى السحرتي عام ١٩٦٩م، ثم انتخب رئيسًا لها عام ١٩٨٣م. وظل في رئاسته لهذا الصرح الثقافي الكبير حتى أخريات حياته.. وخلال هذه الفترة الطويلة التي تبلغ أربعين عامًا متصلة، استطاع الخفاجي أن يقدم الكثير للحياة الأدبية والثقافية في مصر والوطن العربي، واحتضن مئات الأدباء الشبان الذين قدَّم لأعمالهم، وروَّج لهم، ودعمهم ووصلهم بالمناهل الفكرية المختلفة، وعرَّفهم بالمنابر الثقافية حتى صار لأغلبهم وجود حقيقي في المشهد الأدبي.

وليس من شك أن ذلك كله كان سببًا في ما حظي به الخفاجي من احترام وتقدير في أوساط العلماء والزعماء وكبار رجال الدين وأعلام الفكر العربي الحديث،

فألفت عنه في حياته وبعد موته عشرات الكتب وسطرت مئات المقالات مما قد نجد صدى له في هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

وعلى كل، فالحديث عن الخفاجي طويل ممتد لا ينتهي، وحسبه ما ترك من تراث زاخر وما خلف من تلاميذ أسهم بعلمه وفكره في تشكيل وجداناتهم وعقولهم. ولعل في هذا الكتاب الذي نقدمه للقارئ العربي بمناسبة انعقاد «ندوة خفاجي والشايجي» بالقاهرة في الأول من نوفمبر ٢٠٠٩م، التي تحتفل فيها مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بمرور عشرين سنة على انطلاقها، محتفية بالثنائي الذي واكب مرحلة التأسيس وأسهم فيها إسهامًا لا يجحد، وقدّم ما وسعه من جهد وفكر وخبرة - أقول لعلَّ في هذا الكتاب ما يكشف عن جوانب من فكر الخفاجي وتراثه، ولعل فيه ما يضيء ملامح حياته وشخصيته؛ وقد احتوى على أطياف من إبداع الخفاجي وكتاباته، وبعضاً من رؤاه وأفكاره ونماذج من كتابات زملائه وتلاميذه عنه، عسى أن يكون في ذلك ما يفي حق هذا العالم الموسوعي الكبير الذي أخلص لعلمه وعمله طيلة حياته.

د. محمد مصطفى أبوشوارب

****

الخفاجي في سطور

● مواليد المنصورة في ٢٢/٧/١٩١٥م.

● التحق بمعهد الزقازيق الأزهري طالبًا بالسنة الأولى عام ١٩٢٧م. وحصل على الابتدائية عام ١٩٣١، ونال شهادة الكفاءة عام ١٩٣٤م، والثانوية عام ١٩٣٦م.

● التحق بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر في أكتوبر ١٩٣٦م.

● حصل على الشهادة العالية (الليسانس) منها عام ١٩٤٠م.

● حصل على شهادة العالمية من درجة أستاذ (الدكتوراه) في الأدب والبلاغة من الكلية ذاتها عن رسالته الجامعية موضوعها: «ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان».

● عمل أستاذًا للغة العربية في الليسيه فرانسيه بالقاهرة ١٩٤١ – ١٩٤٦م.

● عين مدرسًا بالمعاهد الثانوية الأزهرية بالزقازيق ثم أسيوط عام ١٩٤٦ – ١٩٤٨م.

● عين عضوًا بهيئة التدريس بقسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بالقاهرة جامعة الأزهر عام ١٩٤٨م.

● عين في وظيفة أستاذ مساعد بالكلية ذاتها عام ١٩٦٤م.

● شغل وظيفة الأستاذ منذ عام ١٩٦٨م.

● عين رئيسًا لقسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بالقاهرة عامي ١٩٧٢، ١٩٧٣م.

● عين عميدًا لكلية اللغة العربية جامعة الأزهر، فرع أسيوط عام ١٩٧٤ – ١٩٧٨م.

● أحيل إلى المعاش في ٢١/٧/١٩٨٠م.

● عين أستاذًا متفرغًا في كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر منذ عام ١٩٨٠ حتى وفاته.

- عضو مجلس جامعة الأزهر من عام ١٩٧٤ حتى عام ١٩٧٨م.
- عضو مجلس الأزهر الأعلى في الفترة نفسها.
- عمل أستاذًا بجامعة الإمام محمد بن علي السنوسي بليبيا من عام ١٩٦٢ - ١٩٦٦م.
- عمل أستاذًا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٦٩ - ١٩٧٢م.
- عمل أستاذًا منتدبًا في معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة منذ عام ١٩٨٢م.
- أشرف على نحو مائة رسالة دكتوراه في الأدب والنقد واللغة بجامعة الأزهر.
- أشرف على أكثر من عشرين ومائة رسالة ماجستير ودكتوراه، في جامعة الأزهر ومعهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة.
- شارك في مناقشة ما يزيد على مائة رسالة للدكتوراه والماجستير في جامعات الأزهر والقاهرة والإسكندرية وغيرها.
- اختير عضوًا في لجان فحص الإنتاج العلمي لأعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر.

كان عضواً فاعلاً في كثير من المجالس والهيئات الإسلامية والثقافية والأدبية منها:

- عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٧٤م.
- عضو مجلس إدارة اتحاد الكتّاب بمصر في عام ١٩٧٨م.
- عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.
- عضو المجالس القومية المتخصصة (شعبة الآداب) منذ عام ١٩٨٠م.
- رئيس مجلس إدارة رابطة الأدب الحديث بالقاهرة منذ ١٩٨٣م.
- رئيس مجلس إدارة اتحاد الجمعيات الأدبية في القاهرة.
- نائب رئيس مجلس إدارة جمعية أبولّو الجديدة.
- عضو نادي القصة بالقاهرة.
- عضو جمعية الأدباء بالقاهرة.

● عضو جماعة شعراء العروبة بالقاهرة.

● عضو الجمعية الأدبية بالنجف.

شارك في العمل الصحفي من خلال عدد من الصحف والمجلات من أبرزها:

● عمل مصححًا في جريدة السياسة اليومية ١٩٣٦ - ١٩٣٧م.

● عمل مراجعًا في جريدة الأهرام ١٩٣٧ - ١٩٤٤م.

● عمل محررًا في جريدة الأساس ١٩٤٤ - ١٩٤٩م.

● عمل مديرًا لمجلة الشعب الأسبوعية عام ١٩٥٢م.

● كان نائبًا لرئيس تحرير مجلة رابطة الأدب الحديث (ليالي الأدب) الشهرية ١٩٥٤ - ١٩٥٨م).

● عمل رئيسًا لمجلس إدارة مجلة «الحضارة» التي تصدر عن رابطة الأدب الحديث منذ ١٩٨٤م.

اشترك في العديد من المؤتمرات العلمية في مصر وخارجها، من أهمها:

● مهرجان ذكرى ابن زيدون الألفية (الرباط عام ١٩٧٥م).

● مهرجان عيد مجلة الفكر التونسية عام ١٩٧٥م.

● مهرجان الأدب والشعر - الخرطوم عام ١٩٧٥م.

● مؤتمر الأدب العربي الحديث - جامعة ممباد/ الهند عام ١٩٨٢م.

● مهرجان شوقي وحافظ القاهرة عام ١٩٨٢م.

● مهرجان الشابي - تونس ١٩٨٤م.

● مهرجان ذكرى البشير الإبراهيمي في جامعة وهران عام ١٩٨٦م.

● مهرجان الشابي القاهرة ١٩٨٤م.

● مهرجان ذكرى الإمام ابن عاشور - تونس ١٩٨٦م.

● مؤتمر اللغة العربية في سلطنة بروناي ١٩٩٤م.

- ملتقى المصطلح العلمي في وهران ١٩٩٥م.
- ملتقى الإنسان في الكتب السماوية في وهران ١٩٩٧م.
- ملتقى الإنسان المسلم في المجتمعات المعاصرة، وهران ١٩٩٧م.
- سائر المهرجانات والملتقيات الأدبية والثقافية التي عقدت بالقاهرة من ١٩٥٥ - ٢٠٠٥م.
- حصل على وسام العلوم من الطبقة الأولى من رئيس جمهورية مصر العربية عام ١٩٩٣م.
- توفي رحمه الله في ٧/٣/٢٠٠٦م.

****

تـراث الخفاجي

أصدر الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي ما يقرب من عشرة وخمسمائة كتاب ومؤلف تتوزع بين دواوين شعرية ودراسات أدبية ولغوية وتاريخية ودينية، علاوة على عشرات الكتب التراثية المحققة، من أهمها ما يأتي:

دواوين شعرية:

١ - وحي العاطفة - ١٩٣٦م.

٢ - أحلام الشباب - ١٩٤٩م.

٣ - أحلام السراب - ١٩٥٣م.

٤ - الديوان الإسلامي - ١٩٧٢م.

٥ - نغم من الخلد - ١٩٧٢م.

٦ - صلوات على الضفاف - ١٩٨٢م.

٧ - أشواق الحياة - ١٩٨٣م.

٨ - أغنيات من عبقر - ١٩٨٤م.

٩ - نشيد الذكرى - ١٩٨٧م.

١٠ - نشيد الصحراء - مسرحية شعرية (ط١) ١٩٤٧م، (ط٢) ١٩٨٨م.

١١ - ملحمة السيرة النبوية الخالدة - ١٩٨٨م.

١٢ - أصداء الذكريات - ١٩٨٩م.

١٣ - أحلام الذكرى - ١٩٩٠م.

١٤ - أحلام الأمس - ١٩٩٥م.

١٥ - أنشودة إلى الغد - ١٩٩٥م.

كتب أدبية وثقافية:

١ - المحفوظات والأناشيد عدة أجزاء - الرياض.

٢ - البحوث الأدبية - دار الكتاب اللبناني - عشر طبعات.

٣ - كيف تكتب بحثًا جامعياً - بالاشتراك - الأنجلو المصرية - ١٩٨١م - عدة طبعات.

٤ - من تراثنا الخالد - دار الجيل.

٥ - مصادر المكتبة الأدبية - دار الجيل.

٦ - نداء الحياة - ١٩٥٧م.

٧ - أسلوب الإنشاء الحديث.

٨ - نشيد الصحراء قصة حياة توبة الخفاجي وليلى الأخيلية - مسرحية شعرية ونثرية.

٩ - توبة شاعر البطولة - مطبعة دار الأنوار.

١٠ - المطالعة الأزهرية جزءان: الجزء الأول للقسم الابتدائي بالأزهر، والجزء الثاني للقسم الثانوي - نشر مكتبة صبيح عام ١٩٥٥م.

مؤلفات عن مصر:

١ - قصة الأدب في مصر (٥) أجزاء - دار الجيل - بيروت.

٢ - مواكب الحرية في مصر الإسلامية - دار الجمهورية - القاهرة.

٣ - الأزهر في ألف عام - ٣ أجزاء - دار ابن زيدون - بيروت.

٤ - التراث الروحي للتصوف الإسلامي في مصر - القاهرة.

٥ - من تراث مصر الإسلامية - الفسطاط.

٦ - الحياة الأدبية في مصر في العصر المملوكي والعثماني - مكتبة التراث الأزهرية.

كتب في الحديث النبوي:

١ - مأثورات نبوية - ٤٠٠ صفحة - القاهرة - طبعتان.

٢ - المختار من الحديث النبوي - ٥ أجزاء.

٣ - مشكاة اليقين في أحاديث سيد المرسلين - تحقيق كتاب الإمام المنذري.

٤ - رياض الصالحين - تحقيق.

٥ - تهذيب الجواهر اللؤلؤية - للجرداني - ١٩٥٤م.

٦ - صحيح البخاري - ١٠ أجزاء.

كتب في السيرة النبوية:

١ - سيرة رسول الله ﷺ ٤ أجزاء.

٢ - مواكب النبوة.

٣ - التفسير الإعلامي للسيرة النبوية - بالاشتراك

٤ - مشاهد من السيرة العطرة.

٥ - من روائع مشاهد السيرة - دار الخير بدمشق.

كتب في التصوف:

١ - الصوفي المجدد - ١٩٥٠م.

٢ - عيوب النفس ومداواتها - بالاشتراك - دار الشروق.

٣ - التراث في الأدب الصوفي - دار غريب بالقاهرة.

٤ - التصوف الإسلامي وظلاله في الأدب العربي - جزءان.

فن الشعر:

١ - فن الشعر - جزءان ١٩٥٠م - المكتبة المحمودية.

٢ - موسيقى الشعر - دار ابن زيدون - بيروت.

٣ - عروض الشعر العربي - القاهرة.

٤ - أوزان الشعر وموسيقاه - ١٩٩٠م.

٥ - النغم الشعري عند العرب - بالاشتراك - القاهرة - ومكتبة المريخ بالرياض.

٦ - الأصول الفنية لأوزان الشعر - دار الجيل (بالاشتراك)

٧ - عروض الخليل -جزآن - ١٩٩٣م.

٨ - الشعر العربي وأوزانه وقوافيه - ١٩٤٩م - القاهرة.

٩ - ميزان الشعر - جزءان - ١٩٩٠م.

١٠ - ميزان الشاعر - بالاشتراك - ١٩٥٥م.

١١ - ديوان الإمام الشافعي - طبعات عدة.

١٢ - ديوان الإمام علي - طبعات عدة.

١٣ - ديوان حماسة أبي تمام.

١٤ - ديوان البرعي.

١٥ - المعلقات السبع للزوزني.

١٦ - الكافي في العروض والقوافي - تحقيق.

١٧ - القصيدة العربية - عروضها في القديم والحديث.

البلاغة:

١ - الأسلوبية والبيان العربي - بالاشتراك - الدار المصرية اللبنانية.

٢ - البلاغة بين التقليد والتجديد - بالاشتراك.

٣ - شرح إعجاز القرآن للباقلاني ١٩٥٤م.

٤ - شرح البديع لابن المعتز ١٩٤٥م.

٥ - عبدالقاهر والبلاغة العربية - ١٩٦٢م.

٦ - شرح الإيضاح في البلاغة - ٦ أجزاء - دار الجيل.

٧ - البلاغة العربية - ١٩٥٥م.

٨ - مرشد البيان في البلاغة - ١٩٥٠م - مطبعة دار الأنوار بالقاهرة.

٩ - مقدمة سر الفصاحة لابن سنان - ١٩٥٠م.

١٠ - أبوهلال العسكري وأثره في البلاغة.

١١ - شرح متن التلخيص في البلاغة، مكتبة الحسين التجارية.

١٢ - قواعد الشعر لثعلب، الدار المصرية اللبنانية.

١٣ - فحولة الشعراء للأصمعي، ١٩٦٩م.

١٤ - تحقيق على أسرار البلاغة لعبدالقاهر، جزءان.

١٥ - تحقيق دلائل الإعجاز لعبدالقاهر.

١٦ - تحقيق نقد الشعر لقدامة - ١٩٧٨م - مكتبة الكليات الأزهرية.

النقد:

١ - مدارس النقد الحديث - الدار المصرية اللبنانية - ١٩٩٥م.

٢ - أصول النقد - القاهرة، ١٩٧٤م، ١٩٨٢م.

٣ - موقف النقاد من الشعر الجاهلي - دار الفكر العربي - ١٩٥٠م.

٤ - مذاهب الأدب ١٩٥٣م - القاهرة.

٥ - مدارس الشعر - الأنجلو المصرية - ١٩٩٠م.

٦ – دراسات في الأدب المقارن – جزءان.

٧ – النقد العربي الحديث ومذاهبه – ١٩٧٠م – القاهرة.

٨ – دراسات في النقد والأدب – القاهرة – مكتبة صبيح – ١٩٧٦م.

٩ – بين الأدب والنقد – بالاشتراك – ١٩٥٣م.

١٠ – دراسات في الأدب والنقد – بالاشتراك ١٩٥٥م

١١ – فصول في النقد – ١٩٤٩م – مكتبة القاهرة.

١٢ – دراسات في النقد الأدبي – ١٩٦٤م – القاهرة.

١٣ – فصول في الأدب – بالاشتراك.

١٤ – حكومة القاضي الجرجاني في النقد الأدبي – ١٩٥٥م.

تاريخ الأدب العربي:

١ – الحياة الأدبية في العصر الجاهلي: طبعة أولى – القاهرة – ١٩٤٨م، طبعة ثانية – القاهرة – ١٩٥٨م، طبعة ثالثة – لبنان – دار الجيل – ١٩٩٣م.

٢ – الشعر الجاهلي– دار الكتاب اللبناني.

٣ – الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام – ط ١٩٤٨م –القاهرة – ط ١٩٩٢م – لبنان، دار الجيل.

٤ – الحياة الأدبية في الأندلس والعصر العباسي الثاني – ١٩٥٤م – القاهرة.

٥ – الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدر الإسلام – بالاشتراك.

٦ – دراسات جديدة في الأدب في العصر الجاهلي وصدر الإسلام – ١٩٧٠م – القاهرة.

٧ – الحياة الأدبية في العصر العباسي – ١٩٥٣م.

٨ – الحياة الأدبية في عصر بني أمية – دار الكتاب اللبناني.

٩ – الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد – دار الجيل.

١٠ – قصة الأدب في الحجاز – بالاشتراك – القاهرة – عدة طبعات.

١١ – قصة الأدب في الأندلس – جزءان – مؤسسة المعارف بلبنان.

١٢ – الأدب الأندلسي بين التجديد والتقليد – دار الجيل – بيروت ١٩٩٣م.

١٣ – قصة الأدب المعاصر – ٤ أجزاء – القاهرة – ١٩٦٠م.

١٤ – قصة الأدب في ليبيا – ٣ أجزاء – ١٩٦٦م.

١٥ – قصة الأدب المهجري – جزءان –عدة طبعات – دار الكتاب اللبناني.

١٦ – الأدب العربي في ظلال الأمويين والعباسيين – ١٩٥٠م – القاهرة.

١٧ – الأدب وتاريخه – ٤ أجزاء – مكتبة صبيح بالقاهرة.

١٨ – من تراثنا الأدبي – بالاشتراك – القاهرة – ١٩٥٤م.

١٩ – صور من الأدب الحديث – ٤ أجزاء – ١٩٥٦م – الأنجلو المصرية.

٢٠ – دراسات في الأدب العربي – ١٩٦٨م – بالاشتراك – القاهرة.

٢١ – الأدب في أزهى عصوره – ١٩٧٤م – بالاشتراك – القاهرة.

٢٢ – الشعر والتجديد – ١٩٥٧م.

٢٣ – الأدب العربي الحديث ومدارسه – عدة طبعات – جزءان.

٢٤ – الآداب العربية في العصر العباسي الثاني – ط ١٩٧٦م.

٢٥ – الأدب وتاريخه في العصر العباسي الأول – ١٩٧٥م – الكليات الأزهرية.

٢٦ – أعلام الأدب في عصر بني أمية (جزءان) القاهرة – ١٩٥٣م، لبنان – دار الجيل – ١٩٩٣م.

٢٧ – دراسات في الأدب والفكر الإسلامي – ١٩٥٥م.

٢٨ – دراسات في الأدب المعاصر – القاهرة – ١٩٨٢م.

٢٩ – الفكر النقدي والأدبي في القرن الرابع – القاهرة ١٩٨٤م.

٣٠ – التفسير الإعلامي في الأدب (بالاشتراك) – القاهرة، دار الجيل – بيروت.

٣١ – الأصالة والتجديد – الأنجلو المصرية – ١٩٨٤م.

٣٢ – فصول في الأدب – بالاشتراك.

٣٣ – من بلاغة العرب – بالاشتراك.

٣٤ – مختارات من الأدب الجاهلي – بالاشتراك.

٣٥ – الأدب الجاهلي – نصوص ودراسة – دار الجيل.

٣٦ – من روائع الأدب العربي – بالاشتراك.

٣٧ – رسائل ابن المعتز – القاهرة – ١٩٤٥م.

٣٨ – وحدة القصيدة في الشعر العربي – ١٩٤٩م.

٣٩ - شعر الماحي - ١٩٧٨م - مكتبة الكيلاني.

٤٠ - مدرسة رابطة الأدب الحديث.

٤١ - الموجز في الأدب العربي - ٤ أجزاء - بالاشتراك.

٤٢ - التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي - ١٩٤٦م.

٤٣ - الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق - بالاشتراك.

أعلام الأدب:

١ - أشعار الشعراء الستة الجاهليين - جزءان - دار الجيل - بيروت.

٢ - الشعراء الجاهليون - ١٩٤٨م - القاهرة.

٣ - أعلام الشعر الجاهلي - ١٩٤٨م - القاهرة.

٤ - أدباء الشرق - ٧ أجزاء - القاهرة.

٥ - مع الشعراء المعاصرين - ١٩٥٥م - القاهرة.

٦ - أبوعثمان الجاحظ - عشر طبعات - دار الكتاب اللبناني - القاهرة.

٧ - ابن المعتز - ط ثالثة - القاهرة ١٩٩١م - دار الجيل - لبنان.

٨ - الرصافي الشاعر - بالاشتراك - ١٩٦٨م.

٩ - أبودلف - ١٩٧٢م - الرياض - المكتبة الصغيرة - عدة طبعات.

١٠ - شاعر وكتاب - القاهرة - ١٩٥٤م - دراسة عن الأمير ابن سنان الخفاجي وكتابه سر الفصاحة.

١١ - المتلمس الضبعي - القاهرة - ١٩٧٨م.

١٢ - المثقب العبدي - القاهرة - ١٩٧٨م.

١٣ - العقاد صحفياً وأديباً - بالاشتراك - الأنجلو المصرية.

١٤ - الرؤيا الإبداعية في شعر أبي شادي - دار الجيل بالاشتراك.

١٥ - رائد الشعر الحديث - جزءان - ١٩٥٥م.

١٦ - الشابي - بالاشتراك - تونس - ١٩٨٦م.

١٧ - أعلام الأدب العربي - جزءان - بالاشتراك.

١٨ - الماحي شاعر العروبة - جزءان - بالاشتراك.

١٩ - الرؤيا الإبداعية في شعر عواد - بالاشتراك - جدة.

٢٠ - شاعر الشام خليل مردم - دار الجيل - بيروت.

٢١ - أبوالفتح الإسكندري وشخصيته المجهولة - الأنجلو المصرية.

٢٢ - القرشي شاعر من أبوللو - القاهرة ١٩٩٦م.

٢٣ - فارس الإبداع الشعري (خالد الفيصل) - بالاشتراك - ١٩٩٤م.

٢٤- زهير الكتبي، الموقف والكلمة - القاهرة - ١٩٩٥م.

٢٥ - الرؤيا الإبداعية في أدب محمد مزالي - بالاشتراك - ١٩٨٥م.

٢٦ - شعر عبدالخالق فريد - بغداد - ١٩٨٤م.

٢٧ - شعر أحمد أبوالمجد عيسى - القاهرة.

٢٨ - شاعرية ابن زيدون وشعره (الرباط - المملكة المغربية).

٢٩ - الرؤيا الإبداعية في شعر الدكتور عبدالله باشراحيل - بالاشتراك مع د. عبدالعزيز شرف.

الدراسات الإسلامية:

١ - الإسلام وحقوق الإنسان - وللدكتور أبوشادي دراسة عنه أذيعت من صوت أمريكا في أكتوبر ١٩٥١م.

٢ - الإسلام دين الإنسانية الخالد.

٣ - الإسلام رسالة الإصلاح والحرية، مكتبة القاهرة.

٤ - الإسلام ومبادئه الخالدة، بالاشتراك مع الأستاذ الأكبر الشيخ مأمون الشناوي - مكتبة القاهرة.

٥ - في ظلال الإسلام - بالاشتراك مع الدكتور محمود فرج العقدة ١٩٦٦م.

٦ - الإسلام في قيادة المجتمع العربي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٧ - الثقافة الإسلامية بين ماضيها وحاضرها، عدد ٦٢ من سلسلة دراسات الإسلام - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٨ - خلود الإسلام، طبع المطبعة المحمدية بالقاهرة، ونشر مكتبة الكليات الأزهرية - طبعة جديدة في باتنة بالجزائر.

٩ - رسالة النبي - بالاشتراك مع الأستاذ الكبير الشيخ مخلوف.

١٠ - المختار الصحيح من التجريد الصريح في أحاديث الرسول تحقيق الخفاجي - خمسة أجزاء طبعة أولى مكتبة صبيح، طبعة ثانية مكتبة مصطفى الحلبي، طبعة ثالثة دار الجيل ١٩٩٤م بيروت.

١١ - مأثورات نبوية ٢٠٠ صفحة - طبعة أولى - ٤٠٠ صفحة - طبعة ثانية، مكتبة القاهرة بالأزهر.

١٢ - من ماضي الإسلام وحاضره بالاشتراك، طبعة أولى ١٩٥٥م.

١٣ - صور من الفكر العربي وتاريخ الإسلام ١٩٥٨م.

١٤ - فصول في الدين والأدب.

١٥ - أدب الدنيا والدين للماوردي - شرح وتعليق - نشر مكتبة صبيح.

١٦ - تطهير الاعتقاد للصنعاني اليمني.

١٧ - شرح ثلاثة أجزاء من كتاب الله الكريم هي: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول - إنما السبيل، وما أنزلنا - وهي الأجزاء التي كلف المؤلف بشرحها من المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وشرحها ونشرت في التفسير الذي طبعه المجلس، فضلاً عن أنه كان عضوًا في لجنة المراجعة النهائية للتفسير.

١٨ - شرح الأنفال وأوائل التوبة، وسورة الحجر وأوائل النحل، وأواخر العنكبوت وسورة الروم وأوائل لقمان نشرت في التفسير الذي يصدره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور المرحوم عبدالحسيب طه - ١٩٨٤م.

١٩ - البابية والبهائية في الإسلام ملحق عدد شعبان ١٤٠٥هـ، من مجلة الأزهر - بالاشتراك مع: الشيخ محمد الخضر حسين - محمد فريد وجدي - مصطفى الطير.

٢٠ - الرد على المشركين

٢١ - الرد على الملحدين.

٢٢ - الرد على الماديين.

٢٣ - الرد على أعداء الإسلام، (وهذه الأربعة نشرتها دار الكرنك بالقاهرة، وطبعتها طبعة ثانية، مكتبة الجمهورية بالأزهر).

٢٤ - سماحة الإسلام - نشر في عمان.

٢٥ - الإسلام ونظريته الاقتصادية - عن دار الكتاب اللبناني - بيروت.

٢٦ – الإسلام والحضارة الإنسانية – عن دار الكتاب اللبناني – بيروت.

٢٧ – الحج على المذاهب الأربعة.

٢٨ – الإسلام وحضارة المستقبل، مكتبة مصر بالفجالة – بالاشتراك مع د. عبدالعزيز شرف.

٢٩ – الإسلام وارث الحضارات عام ١٩٧٦م.

٣٠ – الإسلام ينقض الشيوعية – الكليات الأزهرية.

٣١ – القرآن معجزة العصور – بالاشتراك مع د. عبدالعزيز شرف، ود.علي صبح والأستاذ عبدالعظيم الشبلي.

٣٢ – البهائية – بالاشتراك مع د. عبدالعزيز شرف – نشر مكتبة مصر بالفجالة.

٣٣ – في آفاق الفكر الإسلامي – ١٩٩٥م – القاهرة.

٣٤ – فلسفة التاريخ الإسلامي – دار الجيل – بيروت.

٣٥ – الإسلام والغزو الفكري – بالاشتراك.

٣٦ – الإنسانية تعود إلى الإسلام – دار الجيل – بالاشتراك.

٣٧ – النظام الاقتصادي الإسلامي – ١٩٧٩م – جدة – دار المجمع العلمي.

٣٨ – الفكر الإسلامي بين الأصالة والتجديد – دار الجيل.

٣٩ – الغزو الفكري – بالاشتراك – دار الجيل.

٤٠ – الإسلام والعصر – القاهرة.

٤١ – موسوعة ألفاظ القرآن الكريم.

تحقيق التراث:

١ – المنتخب في الدين، ثلاثة أجزاء – مقرر في السعودية (ثلاث طبعات).

٢ – سر الفصاحة للأمير ابن سنان الخفاجي – دار الكتاب اللبناني.

٣ – الترغيب والترهيب للإمام نافع الخفاجي – جزءان تحت الطبع – بتحقيق المؤلف.

٤ – فصيح ثعلب – طبع الناشر علي خريوش ١٩٥٠م.

٥ – شفاء الغليل للشهاب الخفاجي – نشر مكتبة الحسين.

٦ – مقامات الحريري بشرح الشريشي – ٤ أجزاء – نشر مكتبة المشهد الحسيني – عدة طبعات.

٧ – حماسة أبي تمام جزءان – مكتبة صبيح بالقاهرة.

٨ - الكرماء لأبي هلال العسكري، ومعه دراسة عن أثر أبي هلال في البلاغة العربية، نشر مكتبة الحرم الحسيني بالقاهرة، وطبع المطبعة المنيرية بالأزهر.

٩ - قطر الندى في النحو شرح الخفاجي جزءان طبع صبيح - ودار الشعب - عدة طبعات.

١٠ - القواعد العربية في النحو.

١١ - تطهير الاعتقاد للصنعاني اليمني.

١٢ - أبوشادي في المهجر ١٩٥٨م وهي مقالات للدكتور أبوشادي - جمعها وكتب مقدمتها ونشرها الخفاجي.

١٣ - الإسراء والمعراج تأليف الشيخ نافع الخفاجي، مكتبة القاهرة.

١٤ - متن الآجرومية في النحو.

١٥ - أخبار النحويين البصريين للسيرافي، طبع المطبعة المنيرية.

١٦ - شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام للفاسي، جزءان.

١٧ - شرح ابن عقيل ثلاثة أجزاء، نشر مكتبة صبيح، عدة طبعات - طبع مكتبة الحلبي بالقاهرة.

١٨ - شرح الرافعي على ابن عقيل، شرح وتقديم جزاءن.

١٩ - ثورة الإسلام للدكتور أحمد زكي أبوشادي - طبع لبنان.

٢٠ - تهذيب الجواهر اللؤلؤية للجرداني، في الحديث، نشر مكتبة الحرم الحسيني ١٩٥٤م.

٢١ - الفرج بعد الشدة للتنوخي، جزءان، نشر مكتبة الخانجي.

٢٢ - توضيح البيجوري في الفقه، ٣ أجزاء، نشر مكتبة صبيح.

٢٣ - الاختيار في الفقه، عدة أجزاء.

٢٤ - مشكاة اليقين في أحاديث سيد المرسلين للإمام المنذري، نشر مكتبة القاهرة بالأزهر.

٢٥ - كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري تحقيق بالاشتراك مع د. فاخر - تحت الطبع.

٢٦ - المولد النبوي الشريف لنافع الخفاجي، تحقيق المؤلف، ١٢٨ صفحة.

٢٧ - المغني لابن قدامة (تحقيق)، ١٣ جزءًا، نشر مكتبة القاهرة بالأزهر.

٢٨ - أشعار عنترة العبسي وشرحها، مكتبة القاهرة بالأزهر.

٢٩ - تهذيب اللغة للإمام الأزهري، الجزء السادس، بالاشتراك مع المرحوم الدكتور محمود فرج العقدة - الهيئة المصرية العامة.

٣٠ - أحكام الصيام، لنافع الخفاجي، تحقيق المؤلف - مكتبة القاهرة بالأزهر.

٣١ - ديوان عمر بن أبي ربيعة (بالاشتراك) - دار التراث الأزهرية.

٣٢ - ديوان المتنبي - بالاشتراك - دار مصر للطباعة.

٣٣ - تحقيق ديوان سليمان بن شوال العماني.

٣٤ - تحقيق ديوان الكندواني العماني.

٣٥ - الوجدانيات - مقامات لفريد وجدي - تحقيق بالاشتراك - دار الكتاب المصري اللبناني.

النحو واللغة:

١ - مقرر الصرف للسنة الثانية بالأزهر - صبيح.

٢ - الشذور لابن هشام - دار الكتاب اللبناني - بالاشتراك.

٣ - النحو العربي لرجال الإعلام - بالاشتراك مع د. عبدالعزيز شرف - نشر مكتبة الأنجلو المصرية.

التاريخ:

١ - بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي - ٩ أجزاء.

٢ - من تاريخنا المعاصر - ٤٢٠ صفحة.

٣ - قصص من التاريخ - طبعة ثانية ١٩٥٧م .

٤ - معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي - بالاشتراك - الدار المصرية اللبنانية.

ولا تزال بعض مؤلفات الخفاجي مخطوطة لم تجر عليها أحبار الطباعة إلى الآن.

****

نماذج من شعر الخفاجي

الحياة والشاعر(*)

رقدَ الليلُ ونام السَّامرُ
ورنا نحو النجومِ الشَّاعرُ

ساهدٌ في معبدِ الفنِّ يصو
غُ أناشيدَ الأماني سَاهر

عاثرُ الحظِّ يرومُ النَّجمَ كيْ
فَ ولم يدركْ مَداهُ النَّاظر

هدفٌ ترميهِ أيدي الدَّهرِ ما
شانهُ ما أمسُهُ ما الحاضر؟

صادحٌ، الخيرُ أنشودتُهُ
والحياةُ الشرُّ فيها الظَّافر

سَالمَ الدَّهرَ فما سَالَمهُ
ووَفَى، والدهرُ صِلٌّ غَادر

جَدٌّ والحِرمانُ في أعقَابهِ
وجلالُ العيشِ منه ساخر

آهِ مِنْ دهري ومن أشجَانِهِ
ضلَّ في فهم الحياةِ الخاطر

*****

(*) ديوان أشواق الحياة، ط رابطة الأدب الحديث، القاهرة، ص ١٤٩.

شقاء الحب(*)

قلبي وخـصـركَ والنسـيمُ سـواسـيـهْ
لكنَّ قلبَكَ كـالجـبـالِ الرَّاسِـيَـهْ

لو كـان قـلبُكَ من حـديدٍ ذابَ من
لفَـحَـاتِ أنفـاسي وحـرِّ شَكاتِيَـه

آثرتُ أنْ تحـيـا سـعـيـدًا هانئًـا
وأعـيشُ أشـقى فـوق صـرْحِ شـقَـائِيـه

سِـيَّـانَ عندي فَـقْـدُ حـبِّكَ والرَّدى
خَلِّ الملامـةَ في هواكَ حـيَـاتِيـه

****

(*) ديوان أشواق الحياة، ص ١٧٠.

صدى الذكريات(*)

مـــا بالُ دمــعِكَ يجــري وهو يســتــبقُ
كـــالماء من نبـــعِـــهِ يعلو وينبـــثقُ

ومـــا لقلبِكَ خـــفْـــاقًـــا كـــأنَّ به
يدًا تحـــركُـــهُ قـــســـرًا فـــينطلق

ومـــا لأنفـــاسِك الحـــرَّى تُصَـــعِّـــدُها
ومـــا يلامِـــسُـــهـــا قـــدْ كـــاد يحـــتـــرق

أهـاجَ نـفـــــــسي آلامٌ تُســــــاورُها
كـــأنهـــا لـهـــدوءِ النفس تَســـتَـــرق

أجلْ هي الذكـرياتُ اســتَنفَـدتْ مَـرحي
والذكـــرياتُ شـــذا تمامِـــهَـــا عَـــبَق

كنَّا وكـــانت ليـــالي الدَّهرِ صـــافـــيـــةً
والشَّـــملُ مُلْتَـــئِمٌ والحظُّ مُـــتَّـــفق

كنَّا نخـــالسُ دنيـــانا مَـــبَـــاهجَـــهـــا
ولا نلامُ فكتـــمـــانُ الهـــوى خُلُق

تقـــول مـــا الحبُّ لا أدري يحـــزُنُني
أنْ لا تطول (حـــيـــاتيْنا) وتَفـــتَـــرِق

بَثَـثْـتُـهـا ذاتَ نفـسي وهـي مُـصـغِـيَـةٌ
وعَـــبْـــرَتي كـــعِـــبَـــاراتي لهـــا نَسَقُ

إذا تناولتُ فـي كـــفـي راحـــتـــهـــا
أرى السَّـــعـــادةَ في كـــفـيَّ تصْطَفِق

(*) ديوان أشواق الحياة، ص ١٧٠.

كـــــــــأنما يدُها يدُ العنايةِ في

يدي منهـا غـيوثُ الخـيرِ تَندفِق

سحرُ مفاتنُ عينيها إذا نظرتْ

والسِّحرُ ليس الرُّقَى لكنَّه الحَدَق

في عينِهـا حَوَرٌ يبدو لناظرِها

لم ينجُ من أسْرِه روحٌ ولا رمَق

في سُخطِها ورِضاها منظرٌ حسنٌ

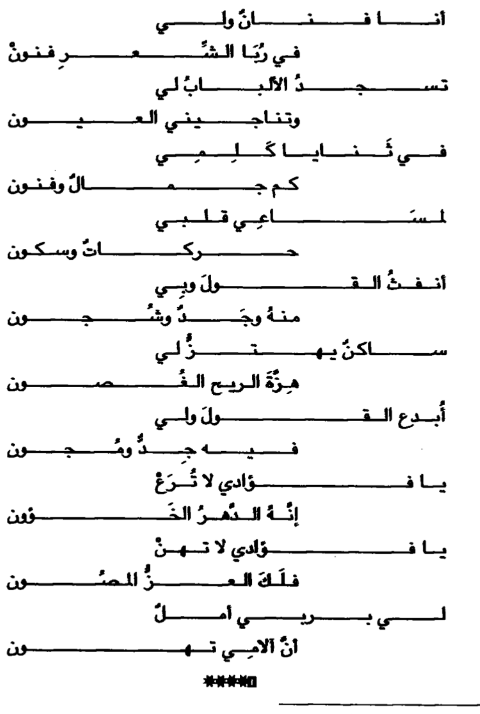
ولفظُها الدرُّ يجري وهو مُتَّسق

وللحياةِ أظلَّتْ وجهَها يدُها

يعيرُها لونَهُ من وجهِهِ الفَلَقُ

****

الفن(*)



أنا فنانٌ ولي
في رُبَا الشِّعرِ فنونْ
تسجدُ الألبابُ لي
وتناجيني العيون
في ثَنايا كَلِمِي
كم جمالٌ وفنون
لمسَاعِي قلبي
حركاتٌ وسكون
أنفثُ القولَ وبِي
منهُ وجَدٌ وشُجون
ساكنٌ يهتزُّ لي
هِزَّةَ الريح الغُصون
أُبدِع القولَ ولي
فيه جِدٌّ ومُجون
يا فؤادي لا تُرَعْ
إنَّهُ الدَّهرُ الخَؤون
يا فؤادي لا تهنْ
فلَكَ العِزُّ المصُون
لي بريي أملٌ
أنَّ آلامِي تهون

*****

(*) ديوان أشواق الحياة، ص ١٧١.

يا أخا الشعب(*)

باتَ يشـدو بعـبـقـريٍّ نشـيـدِهْ
وطنٌ أنتَ فـيـهِ بيتُ قَـصِـيـدِهْ

ناهلٌ من مَـشَـارعِ المجـدِ صَـادِرٍ
رافلٌ في طـريفـهِ وتَلِيـدِه

سَـوَّدتْهُ إرادةُ اللـهِ والشَّعْـ
ـبِ وغِطْرِيفٍ من أشـاوسَ صِيـدِه

طار في الوادي ذكـرُهُ وتـهَـادتْ
فـيـهِ نُعْـمَى أبائهِ وجـدوده

هِمَّـةٌ أعـجـزَ الزمـانَ مـداها
وفـؤادٌ عـزَّ الحِـمَى بِجُـهـوده

وجَـلالٌ يُتلَى على مـسـمعِ الدَّهْـ
ـرِ وتصـبـو العُـلا إلى ترديده

وأيـادٍ بـيـضُ المـآثـرِ غُـرٌّ
هِيَ عِـزُّ الوادي وحِلْيَـةُ جِـيـده

يا عـمـيـدَ القـانونِ يفـخـرُ شِـعـرٌ
شـادَتِ الدنيـا كلُّهـا بِعَـمِـيـده

يسـتـمـدُّ الرجـاءَ منك ويُحـيـي
بِمَسَـاعـيكَ خـالداتِ عُـهـوده

(*) ديوان أشواق الحياة، ص ١٧٥.

رَصَـعَتْ جِـيـدَهُ مَـفـاخـرُكَ الغُـرْ

رُ بمَجْـدٍ ضـاحِي السَّنا مَـشْـهـوده

يا أخـا الشَّـعبِ عشْ عـزيزًا مُـفـدَى

وتقـبَّلْ تحـيـةً من (لَبِـيـدِهِ)

****

ثورة الطبيعة(*)

نسجَ السَّحابُ على السَّماءِ ظِلالا
فالشمسُ غابتْ تندبُ الآمالا

والريحُ سار على الأثير عويلُهَا
تبكي بصوتٍ يستَفِزُّ الآلا

أبدَتْ عواصفُها مَضَاءَ عزيمةٍ
وتمثَّلَتْ هَوْجَاؤُها رِئبَالا

فبَكينَ خِلاًّ قد تبدَّدَ جمعُهُ
وأَمَانِيًا كستِ الوجوهَ جمالا

لعِبَ السَّحابُ بأُسِّهَا فتَفرّقتْ
وغدا المنى بعدَ التَّحقُّقِ آلا

فابيضَّتِ الأبصارُ من فَرْطِ البُكا
وبدَتْ بروقًا تبعثُ الأهوالا

عطفَ العِبادُ لغضْبَةٍ طَبَعيَّةٍ
لما رأوا أنَّ السَّحابَ تعَالَى

وَأَثَارَتِ الأحرارَ غضبةُ عَنْلِهَا
وشكَوْهُ للهِ العظيمِ فزالا

كَفَّتْ خِفافُ السُّحبِ عن طغيانِها
واسَّاقطتْ عبراتُهنَّ طِلالا

(*) ديوان أشواق الحياة، ص ٢٠٦.

أمّا الثّقالُ فقدْ حملنَ عظيمةً
الظلمُ كانَ لأمْرهِنَّ وَبالا
بَحْرُ المياهِ تكاثرتْ أفواجُهُ
فَتَساقطتْ قطراتُهُ أصَالا
وأتى العواصفَ خبرُها فَتَدرَّعَتْ
وتناوشَتْهَا يُمْنةً وشمالا
فَبَدَتْ ذُكَاءُ بنورِهَا وشُعَاعِهَا
- في فتْنةٍ سِحريَّةٍ - تتلالا
قالَ الأثيرُ وإنني لا أرْعَوي
عن غَضْبَتي أو أقْلَعُ الأغْلالا
الظلمُ في شرعِ العدالةِ مُنكَرٌ
والعَسْفُ في ديني أراهُ ضَلالا

****

الشابي الخالد(*)

بَزَغتْ عـــبـــقــريَّةٌ شـــمَّــــاءُ
في سَناها أضــــاءتِ الظُّلمَـــــاءُ
(تَوْزَرٌ) و(الشـَّـــابيَّــــةُ) اللحنُ في أنْـ
ـغَـــامِـــهِ تَزهى تونسُ الخـــضــــراء
عندها كـــان المهـــدُ والوطنُ الحـــرْ
رُ وشــــعبٌ له الفــــخـــــارُ رداء
عندها أحـــلامُ الصِّــبـــا والشـبــابُ الـ
ـغضُّ والدنيـــا، والمنى البـــيـــضـــاء
يا أبا القـــاسمِ النبـــيلَ قمِ اشْـــهَـــدْ
مـــوكـــبًـــا حـــولَهُ الورَى لك جـــاءوا
فنجـــومُ الدنيـــا هنا، وأبوالقـــا
سِمِ فِـــينا وسْطَ النجـــومِ ذُكَـــاءُ
يا أبا القــــاسمِ الذي هـزَّ كلَّ النْـ
ـنَاسِ في رَمْـسِكَ الصــغــيــرِ العَــلاء
لفَّكَ المجــــدُ بالخلود وذِكْــــرا
كَ بهـــا للشـــعبِ التَّليـــدِ انتـــمـــاء
يا أبا القـــاسمِ الحـــيـــاةُ حـــوالَيْـ
ـنَا، ومن بعـــدِ مَـــا رحلتَ عناء
أيُّهـــا الشـــاعـــرُ النبـــيلُ نناديْـ
ـكَ، حـــبـــيبٌ إلى القلوبِ النِّداء

(*) مواكب النصر ص٣٢.

أيُّهــا العــبــقَــريُّ من هزَّ وَجْـــدا
نَ الجـمــاهيــرِ شِـعْــرُهُ والحُــدَاء

ولـه في دنيـــا العـــروبةِ ذِكْـــرٌ
وله الحـــمــــدُ في الحِـــمَى والثناء

وعـصــامـيًّـاً عــاش حــراً طمـوحًــا
رافـعَ الـرأسِ دَأْبـهُ الـكِبـــــــرياء

وبـآلامِ الـشَّـــــعبِ ســـــار يـغنِّي
يـوقـظُ الـشَّـــــعبَ والـدُّجى أنـواء

وأغـــاريدُهُ الفِـــصَـــاحُ تثــيـــرُ الشْــ
ـشَـــعبَ، والشـــعبُ فـي يديهِ اللـواء

شـــعــــرُهُ الثــائرُ الجليلُ صَــــداهُ
سَكِرَتْ مـن ألحــــــانهِ الأصْــــــدَاء

كَــانَ مَــا كَــانَ أيُّهـــا الأصــدقــاءُ
كــان مـــا كـــانَ أيُّهـــا الأوفــيــاء

شـــاعـــرٌ غنَّى الحبُّ فـــاهتــزَّتِ الدنْـ
ـيَـــا، وأشـــعــــارُهُ بهنَّ الـغَناء

والجـــمـــاهيـــرُ هُتَّفٌ، وأبوالقـــا
سِمِ غنَّتْ لشـــعـــبـــهِ العليـــاء

يـا أبا القـــاسـمِ اصطفـــتْكَ أبولُّو
وأبوشـــاديَ الـفـــذُّ، والشُّـــعـــراء

هِيـــهِ مـــرحَى يا دارَ قـــومي وودِّي
نحن مـــا عــشنا إخْـوةٌ أصـفِـيــاء

أبــدًا نـــحـــن فـــي المــواقــفِ صــفٌّ
أبـدًا نـحـن فـي الخُـطوبِ الـفِـــــداء

وعلى الدهرِ ســوف نبــقَى أحــبًّــا
ءَ ويبـــقى بنـا الـهـــوَى والإخـــاء

وتظلِّينَ عـــزّةً وشُـــمـــوخًـــا

وعلى الأفْقِ منكِ أنتِ الضِّـــيـــاء

أمّـــةٌ حُـــرةٌ ومـــجـــدٌ تليـــدٌ

أين منه في مـــجـــدِهِ الجَـــوزاء

فـــاسُ، مـــرّاكشُ، الرباطُ تعـــالَوْا

فَـــهُنا الدّهرُ والسّنا والسَّناء

صافحتكُمْ مصرُ، الكويتُ وحيَّتـ

ـكُمْ دمشقُ وتونسُ العَـصْـمـاء

هلَّلتْ مكّةٌ وصنعـــاءُ والسُّـــو

دانُ والرّافـــدانِ والأرجَـــاء

يا أبا القـــاسمِ العـــروبةُ من حَـــو

لِكَ حبٌّ وعِـــزّةٌ ودعـــاء

****

أحمد زكي أبوشادي(*)

ليلةٌ بالوفاءِ تزهى نديَّهْ
بأبي شادي اليومَ تمضي هنيَّهْ

ليلةٌ يحلو الشدوُ فيها طويلاً
ما أُحَيْلاهُ الحفلُ والأمسيَّه

ليلةٌ زادها الوفاءُ جَلالاً
وتلاقتْ فيها القلوبُ الرَّضيَّه

وتآختْ أجيالُ مصرَ تحيي الْـ
ـفِكْرَ في عزَّةٍ ونبلِ سجيَّه

أيُّ يَمٍّ نَصبْتَ فيه شراعًا
لم تروِّعْهُ موجَةٌ جنيَّه

أنتَ أبدعتَ حين غنَّيتَ شعبًا
سار للمجد عاشقَ الحريَّه

مِن مساعيكَ كلُّ خطوةٍ خيرٌ
والضميرُ الأبيُّ والوطنيَّه

يَعْرُبِيٌّ على الزمان هواهُ
يعربيٌّ وروحُهُ يعرُبيَّه

مِن أبولُّو وأين مِثلُ أبولُّو
بيننا في مذاهبٍ بابليَّه؟

يا رضيَّ الأخلاقِ والنَّفسِ إنا
قد نشأنا على الخِلال الرَّضيَّه

(*) مواكب النصر ص٣٥.

شاعرَ المجدِ ياسَرِيُّ القوافي

ليس إلاّهَا للهوى أمنِيَّه

إنَّ شعرًا نظَمْتَ في حبّ مصرٍ

لَهُوَ السِّحرُ في حِمَى الأبديّه

وقضاياكَ في القريضِ قضايا

لم تكن طولَ الدهرِ بالمنسِيَّه

يا زكيًّا على هواهُ التقينا

واجتَمعْنا على الخِلالِ الزكيَّه

عشتَ نورًا على جبينِ الليالي

ونشيدًا على فم العبْقريَّه

غَرْسُ يُمناكَ كلُّ فكْرٍ طموحٍ

كلُّ عقلٍ أهدى لنا الحريَّه

وأياديكَ أصبحتْ في فم الخُلْـ

ـدِ وفي ثغرِ عصرِنا أغنيَّه

ومساعيكَ حقَّقتْ للضِّفافِ الْـ

ـخُضْرِ في كل موقفٍ أمنيّه

مَثَلٌ للأحرار في عزَّةِ النفـ

ـسِ إباءً، والغَضْبَةُ المُضَريّه

جِيلُهُ سلَّمَ اللواءَ لجيلٍ

ليؤدي أمانةَ القوميَّه

وليبني لمصرَ مُستقبلاً تَسْـ

ـعَدُ فيه أجيالُها المصريَّه

وليعطي لمصرَ خيرَ عطاءٍ

وليعليها بالعقولِ القويَّه

جيلُهُ أعطى للشباب فَطوبَى

للشبابِ الطموحِ، للأريحيَّه

إنَّهُ الدينُ إنهـــا الضَّـــادُ تندَى

بالمثَـــاني وبالمعـــاني النديّه

لغـــةُ القـــرآنِ الكريمِ وأنْعِمْ

بكتـــابِ الســـلامِ للبـــشَـــريّه

التـــراثُ الذي أضَـــأْنا سناهُ

هو تاريخُ أمـــةٍ عـــربيّـــه

والجـــديدُ الذي دَعَـــوْنا إليـــه

في أبوللو السِّـمـاتُ إسـلامـيّـه

يا أبا شـادي الفـذُّ عـشتَ سـلامًـا

وفـؤادًا حـراً ونفْـسًـا عَليِّـه

جُـدْتَ والجـودُ في طبـاعِكَ إرثٌ

مَن يُسَاويكَ في الخِـلال الرضِيـيَّـه؟

شـيـمـةُ الحُـرِّ، والوفـاءِ وإنسْـا

نيَّـــةٌ، إي، وأيُّ إنســـانيّـــه

حين باع الأغـــرارُ قلبًـــا وروحًـــا

صنتَ قلبًـا وصنتَ روحًـا أبيّـه

أصْـدَقُ الأوفـيـاءِ أنتَ لمصـرِ

أصـــدقُ المؤمنينَ بالوطنيّـــه

ومـــحـبٌّ للنيلِ للوطنِ البَـــا

قِـي عـلـى طـولِ الـدهـرِ والأبـديَّـه

رائدَ الطِّبِ والثـقـافـةِ في الذكْـرَى

تلاقـــينا في الليـــالي النَّديّه

قَـدْ فـتـحنا لكَ القلوبَ مـقـامًـا

وأحطناكَ بالقلوبِ الوفِـــيّـــه

كَـرُمَتْ فـينا كلُّ أعـمـالِكَ البَـرْ

رَةِ عـشتَ السَّـمحَ، الكريم الطَّويّه

رائدَ الشِّعرِ يا عظيمَ الأماني
كنتَ في الشرقِ للعُلا أمنيّه
نهبي الحِجَا وأكرِمْ به مِن
عالِمٍ في أعمالِهِ الذهبيّه
مَن لمجدٍ يموجُ في النفسِ شعرًا
فتُغنيهِ آيةٌ ملحَميّه؟
يا أبا شاديَ الوَفِي عشتَ أمينا
ووفيًّا لمعقلِ القدسيّه
ظلَّ تاريخُكَ المضيءُ مِثالاً
لنَفيسِ المواهبِ اللؤلؤيّه
لخِلالٍ كريمةٍ من سماحٍ
وعُلاً مأثورٍ ومن أريحيّه
إنْ يُؤَبِّنْكَ اليومَ أبناءُ جيلي
فلأنَّ التأبينَ للعبقريّه
وأبولُّو وأنت رائدُها الفَذْ
ذُ عليها من مصرَ ألفُ تحيّه
ولِروادِها الغَداةَ سلامٌ
وتحياتٌ عاطراتٌ شَذِيّه
هَرَمُ الشِّعرِ والبيانِ المصفَّى
هرَمُ الفكْرِ والعقولِ الأبيّه
لأبولُّو على الشبابِ ديونٌ
وأبولُّو هيَ الرؤى المَرْضِيّه
هِيَ حلْمُ الأجيالِ جيلاً فجيلاً
وعطاءاتُها لمصرَ سخِيّه
مُلتقى الفكرِ والحِجَا والقوافي
أين منا أيامُها الفِضّيّه؟

أين منا تاريخُ عصرٍ مُضيءٍ

قد رأيناه صورةً سِحريَّه

كان عصرَ التَّجديدِ والبعثِ والشِّعْـ

ـرِ وأكْرِمْ به رؤًى عُلويَّه

شاعرَ الحبِّ والجمالِ رويدًا

أين منَّا آفاقُكَ السِّحريَّهْ

هيهِ يا شاعرَ الطبيعةِ هيَّا

أنْشِدِ الناسَ درَّةً لؤلؤيَّه

أنتَ نجمٌ مخلَّدٌ في القوافي

ونشيدٌ على فمِ الأمسيَّهْ

أنتَ ضوءٌ على الطريق ولحنٌ

كم تغنَّتْ به النفوسُ الأبيَّه

ونظَمتَ القريضَ حُرَّ شُعُورٍ

عابقِ الفَوحِ ملهمِ القُدسيَّه

أخضِعُوا الهامَ إنْ سمعتُمْ بيانًا

شاعريًّاً وأغنياتٍ سَنيَّه

إنَّهُ الفكرُ ما أجلَّ وأسمَى

هو نورٌ على السبيلِ السَّويَّه

إنَّهُ الشَّعبُ كم بنَى للمعالي

وطني مصرَ صانعُ الأبجدية

وطني عاش للحضارةِ يبني

والليالي مروَّعاتٌ شقيَّه

والقوافي على الشِّفاهِ حيارَى

أنتَ أنطقْتَ الصخرَ للبشريَّه

إنها الضَّادُ مونِلُ الفكرِ تندَى

بالأماني وبالمعاني النديَّه

مــــهـــرجـــانٌ من روعـــةٍ ووفـــاءٍ
هذهِ مــصـــرُ فــيــه لحنُ القــضــيَّــه

فــيـــه ســحـــرُ البـــيـــان من كلِّ فكْرٍ
ملْهمِ اللـحـنِ باذخِ الشّـــاعـــريّه

هتفَ الفـــجـــرُ بالنشـــيـــدِ وغنَّى
في سَناهُ صـــبـــاحُـــهُ والعـــشـيــَّـــه

وأبـوشـــادي بيننـا بـاسمُ الثَّــغْـ
ــرِ وفـيٌّ لـكلِ نـفـسٍ وفـــيَّــه

يا ندامَى البــيـــانِ في عــيـــدِ شـــادي
ــكُمْ لكمْ مني اليـــومَ ألفُ تحــيَّـــه

****

شاعر الجندول علي محمود طه(*)

سار أحبابي للضفافِ وراحوا
أينَ منّي غُدوُّهُمْ والرَّواحُ؟
أين منّي وجوهُهُمْ باسماتٌ؟
وبأشعارِهِمْ يضيءُ الصَّباحُ؟
آهِ ما أحلاها ليالِيَ صَفْوٍ
ليتَ لم تذهبِ الليالي المِلاحُ
سفنُ الأحلامِ الجميلةِ مرَّتْ
كان فيها ربانُها المَلاَّحُ
عاش يشدو بالحبِّ لحنًا جميلاً
وتذيعُ اللحنَ الجميلَ الرياحُ
في الدُّجَى كنَّا إنْ سمعناهُ خِلْنا
وكأنَّا تشدو لنا الأشباحُ
ونَشِيدُ الجندولِ غنَّتْهُ دنيَاهُ وغنَّاهُ في الأسَى النُّزاحُ
عرَفَتْهُ المنصورةُ ابنٌ طموحُ
في مجاليها ضِحْكُهُ والنُّواحُ
في الخطوبِ الشِّدادِ يبسمُ بِشْرًا
وهو وسْطَ الأسَى الفتَى المِمْرَاحُ
ما اشتكى يومًا والهمومُ حواليْهِ، وفي قلبهِ الوديعِ الجِراحُ

(*) مواكب النصر ص٤٥.

ظلَّ يلقَى الجـحـودَ، والدهرُ والحُـسْـ

ـسَـادُ فـيـهِ بالكيـد لُسْنٌ فِـصَـاح

آهِ مـا كـان أجـملَ العـيشَ في ظِلْـ

ـلِ نضـالٍ يُراعُ منه الكِفـاح

وكـأن الأديبَ في كلِّ عـصـرٍ

هدفٌ لا تبـغي سِـواه الرِّمـاح

شـاعـرٌ إنْ غنَّاكَ أسـمـعَكَ الفَنْـ

ـنَ وفي الروضِ البلبلُ الصَّـدَّاح

ولكَمْ كـان شـعـرُهُ السِّـحـرُ تمشي

مـعَـهُ في أنغـامِـهِ الأفـراح

وإذا أنشـدناهُ غنَّتْـهُ شِـعـرًا

مَـعَنا في الخـمـائلِ الأدواح

شـاعـرٌ وصَّـافٌ، وفي شـعـره الحلـ

ـو ابتـسـامـاتُ دهرِنا والرَّاح

و(عَلِيٌّ مَـحْـمُـودُ طَهَ) المجلي

في الأبوليِّينَ السَّـمـاحُ رباح

وترٌ في اللَّهـاةِ عـاش يغنِّي

في أغـانيـه ذابتِ الأتْراح

ردَّدتْهـا الضِّـفـافُ والنيلُ يخـتـا

لُ عليـهـا وردَّدتْهَـا البِطاح

شـاعـرٌ خـالدٌ على الدهر حيٌّ

شِـعـرُه الزهرُ في الرُّبَا والأقَـاح

فنُّهُ فنُّ البـحـتـريِّ وشـوقي

وطوَى منه شِـعـرُ (هوجـو) جناح

ويضيءُ الظلامَ منه شُـعـاعٌ

في ليـالينا شـعـرُهُ الإصـبـاح

عــبــقــريٌّ مــصــورٌ عــاش فنًّا

نًـا تُحــيِّي إبداعَــةُ الأرواح

فنُّهُ حــبُّــهُ الكبــيــرُ ومنه

كلُّ فنانٍ مــبــدعٍ يمْتَــاح

يا عليّــاً نمْ في الخلودِ، فــمــصــرٌ

تحــتــفي بالذكــرَى، وجــاء الصَّــبــاح

أنتَ من جــابَ الأرضَ طولاً وعَــرْضًــا

ومــشَتْ حــولَكَ العَــذارى الصِّــبَــاح

لا جُنــاحٌ علــيكَ فــي الحــبِّ، كَــلاً

لا جُناحٌ، أخــا الــهــوَى، لا جُنــاح

لكَ من فــضلِ اللهِ خَــيــرٌ وغُــفــرا

نٌ، ومِن حبِّ شــعبِ مــصــرَ وشــاح

****

محمود حسن إسماعيل(*)

إلى متى التطوافُ يا زورقُ
يرنو لك المغربُ والمشرقُ

مِن لُجَّةٍ حيرَى إلى لُجَّةٍ
تلهو بك الأنواءُ لا تَشْفَق

تمشي بك الأيامُ لا تَنْثني
وأنتَ أنتَ المُجْهَدُ المُرهَق

تنسَابُ في موج الظنونِ، على
ذاوي الشِّراعِ المجدُ والرونق

في كلِّ يومٍ رحلةٌ وسُرَى
واللُّجُ سامٍ والدُّجى أعمق

لكنها الحياةُ والشَّاعرُ السْ
سَرِيُّ والحظوظُ يا زورق

طموحُهُ والكبرياءُ يُعَذْ
نِيانِهِ والزمنُ المُقْلِق

وعاش في شموخِهِ مثلاً
رندُهُ المغربُ والمشرق

يمشي إلى أعلى الذُّرا حالمًا
والدهرُ تحتَ خطوِهِ زئبَق

الحلمُ في عينيه والواحةُ
الخضراءُ لكنَّ بابَها مُغْلَق

(*) مواكب النصر ص٥٣.

وافْــتَــرَّ ثَغْــرُ الشِّــعــرِ عن شــاعــرٍ

على لســـانهِ الضُّـــحى الـمُـــونِق

للكوخِ والأصــــفــادِ والـغـــربةِ الـ

حــمـــقى وصَـــدّاحُ الأسى الـمُطلق

تعـــدو أمـــامَـــهُ وفـــودُ القَـــصيـــ

ـدِ وهْـوَ فـي أنَّـاتِـهِ يَـسْـــــبِـق

تلُفُّـــهُ الشـــمسُ بأشـــواقِـــهـــا

إلهـــامُـــهُ المخـــضَـــوضِـــرُ المورق

مـــجـــددٌ مُـــحـــافظٌ وعـــمـــو

دُ الشِّـــعـــرِ في يديه لا يَخْلُق

يبني من التُّـــراثِ تجْـــديدَهُ

وفي التُّـــراثِ الـمَنْجَمُ الـمُـغْـــدِق

قـــديمُهُ جـــديدُهُ التـــقَـــيـــا

في شـعـــره فـشِـعـــرُهُ مُـعْـرِق

ألفـــاظُهُ كـــالدُّرِّ قـــدْ نُضِـــدَتْ

يحـــرِكُـــهـــا خـيـــالُهُ الـمُـشْـرِق

الفكْرُ والصـــورةُ فـــيـــهـــا وعـــا

لَمُ الرُّؤى المســـحـــورُ والمنطق

وقـــــيـلَ إنـــه الـــوحـشُ فـــي

خـــيـــالِهِ الشُّـــرودِ لا يـزلق

لكنَّهُ في صَـــيْـــدِهِ لسَـــريْ

يِ اللفظِ مـــثلُ الليثِ لا يعـــرق

إنْ زانتِ الأيامُ مِـــفْـــرَقـــهِ

شـيـبًـا فـقَـدْ زيَّنَهـا المفْـرِق

يبـيتُ سـهـرانَ يصـيـدُ النجـو

مَ والخـــيـــالُ حـــولَهُ يعـــبَق

وفكرُهُ يلهو ولكنْ بابْتِـ
ـكارِ المعاني، ولها يخلق

وروحُهُ جيَّاشةٌ والهوى
مشتعلٌ وقلبُهُ يخْفِق

في الشِّعرِ كان ملكُهُ واسعًا
لكنْ حواهُ رَمْسُهُ الضيِّق

لكنَّهُ في ساحةِ الخلْدِ بالْـ
ـخلودِ أحرَى في الورَى، أخلَق

هنا ينام الشاعرُ الفذُّ في
حلْمٍ من الجلال لا يَأرَق

ضريحُهُ صدرُ الزمانِ وذِكْـ
ـراه على العصور لا تَخْلُق

****

موعد مع النصر(*)

خَشَعتْ له الأيامُ تعنو سُجَّدا
ومضتْ مواكبُهُ تسامي الفرْقَدا
ومشى الزمانُ بمجدِهِ وجلالِهِ
وبكلِّ مفخرةٍ لطه مُنشِدا

الدَّهرُ يشهد عصرَ أحمدَ باسِما
يا ويحَهُ بالمجدِ بات مُغرِّدًا
علَمٌ تفرَّدَ بالفخَارِ وبالعُلا
حيٌ الرسولَ الهاشميُّ المفْرَدا

في يوم هجرتِهِ أحيِّي أحمدا
أنشودةٌ ثغرُ الزمانِ بها شَدا
وأسيرُ أهتفُ باسْمِهِ وبوحْيِهِ
ومشى على الدنيا الرسولُ مُمَجَّدا

أملٌ على الأيام يسمو سُؤددًا
قد عاش في خَلَدِ العصورِ مُخلَّدا
هادٍ تعظمُهُ الشعوبُ جميعُها
ما أعظمَ الهادي البشيرَ محمدا

(*) ديوان أحلام الذكرى ص٥٢.

اسمٌ يخفُّ على المسامعِ لفظُهُ
وعلى الشِّفاهِ كأنه قطرُ الندى
باتت تغنِّيه الشعوبُ صباحَها
ومساءها، حبًّا له وتَوَدُّدا

هذا الذي أمْلَى على التاريخ ما
أملى وعاش على النضال مُوَحِّدا
يا مجدَ مولدِهِ وهجرتِهِ التي
لعظائمِ الأعمالِ كانت مَولِدا

كَرُمَتْ أرُومتُهُ وطاب نِجَارُهُ
وسما على هام الكواكب مَحْتِدا
ومضى ينادي في الورى: هذا هو
الدينُ الحنيفُ، وهذه سُنَنُ الهدى

وروَى وقائعَهُ الزمانُ، وأصبحتْ
قِصصُ البطولةِ والنضالِ لها صَدى
في يوم هجرتِه طريدًا شاردًا
عن قومه، ووراءه شبحُ الردى

لم يتخذ إلا رفيقًا مؤمنا
بطلاً تمنَّى أن يكون له فِدَى
نجَّاهُ مَنْ أوحَى إليه كتابَهُ
ولِنَحْوِ يثربَ موكبُ الهادي غدا

حـــــــتى إذا بلـغ المـديـنـةَ هـلَّـلـتْ
لقــــدومِـــــه، وكـــــأنـهُ بـدرٌ بـدا
أوتْهُ، واحـــتـــضـنَتْـــهُ وانضـمّـــتْ إلى
أصـــحـــابِهِ، فـــغــدا عـــزيزًا ســيِّـــدا

المؤمنون تجــــمَّــــعُــــوا وتكافلُوا
وبنَى الرســـولُ لهم بيـثـربَ مـــســجــدا
ســـاد التـــعـــاطفُ والتـــآلفُ بينهم
ونبـــيُّـــهم كـــان النبيُّ المقـــتَـــدَى

رفـع اللـواءَ مـــحـــمـــدٌ فـــوق الذُّرا
وأقـــام صـــرحًـــا للســـلامِ مُـــمـــرَّدا
قـــد أوقـــدَ المصـــبـــاحَ يـهـــدي عـــالَمًـــا
ضلَّتْ مـــواكـــبُـــهُ إلى سُـــبلِ الهـــدى

ومن اســـتـــعـــانَ اللهَ في أمـــرٍ ســـعى
فـــيـــه ابتــــغـــاءَ رضـــاهُ مَـــدَّ له يدا
ومَنِ ابْتَـــغى خـــيـــرًا ووجَّـــهَ نحـــوه
عـــزمـــاتِهِ وجـــدَ الســـبـــيلَ ممهَّـــدا

لقـــد اصطفى اللهُ الرســـولَ وخـــصَّـــهُ
بكتـــابـهِ، وبه الرســـول تفـــرَّدا
سُـــوَرٌ كَـــمِـــثْلِ الشّـــمسِ ترسِلُ ضـــوءَها
أبدًا، وتنـثـــرُ نورَهـا المتـــوقِّـــدَا

تلك الرسالةُ ما تزالُ شريعةً
تُتْلَى، وسوف تظلُّ تُتْلَى أبدا
ولها بوجدانِ الشعوبِ أواصرٌ
خِلْنا عُرَاها نبضَها المتجَدِّدا

حيِّ الجَلالَ وحَيِّ هجرةَ أحمدٍ
وعلى العصور الدهرُ غنَّى أحمدا
عـزَّتْ به الدنيا هدًى وحضارةً
آخَتْ بيوتُ العلم فيها المسجدا

بمحمدٍ نبني الصروحَ سَوامِقًا
ونُقيم للحقِّ البناءَ مُشيَّدا
آمنتُ بالله العظيم وحُبِّهِ
آمنتُ أن اللهَ كان مُؤَيِّدا
هو لي الإمامُ الشافعُ الأسمى الذي
بركابِه بلَغتْ رِكابي الموردا

*****

نشيد العصور(*)

ليـــــــــتَـنـي أنـتَ والمـنَـى صِنْـوانُ

أنت للمــجــد والهُــدى مــــهـــرجـــانُ

ونشــــيـــدُ القـــرونِ ملحــمــــةُ الأجْـ

ـيـــالِ غنَّى انتـــصـــارَها الإنســـانُ

(مكَّةُ) الخـــيـــرِ والسَّنا والأمـــاني

شــهِـدَتْ فـجـرًا عــزَّ فـيـه الزمــان

وبـهِ غنَّـتْ (مكَّـةُ) النُّورِ، والبِــــيْـ

ـدُ تُسَـاقِـيـهــا البـشـرُ، والرُّكْـبَـان

ومـــشَـتْ في الدنيـــا الـرواةُ به في

فَـــمِـــهـــا طاب السَّـــحـــرُ والألحـــان

بذُرًا بيتٍ في الشِّـــعـــابِ هناكَ اسْـ

ـتَـيْـقظَ الدهرُ، صــاح فـيــه الأذان

وبركنٍ في البـــيت (آمنةُ) مَـــــذْ

هُولَةٌ، حـــولَهـــا الرؤى والعِـــيَـــان

وعلى ثغـــرِها ابتــســامـــاتُ آمَــا

لٍ وِضَـــاءٍ وقلبُـــهـــا نشـــوان

ورنَتْ نحـــو المهـــدِ يسبـــح في نَهْـ

ـرٍ من النورِ اهـتـــــزَّ منه المكان

(*) ديوان أحلام الذكرى ص ٦٠.

ثم مــــدَّتْ إليـــــه راحـــتَـــهـــا تَمْـ

ـتـــــارُ عطرًا، وطفلُـهـــــا وسْنَان

طبَــــعتْ قـــــبلةً على خــــدِّهِ يَهْـ

ـتَـاجُـهــا الشـوقُ والهـوى الظمـآن

وأتــى جَـــــــدُّه يبــــــاركُ لـلأمْـ

ـمِ وتمشي من حـــــولهِ عــــدنان

وانحنَى نحــو المهـدِ، في فــمـــهِ حُلْـ

ـوُ تســـــابيحٍ، ثُويْـهـــــا الشُّكران

ومــــشى بالمهــــد العظيم إلى الكعْـ

ـبَــةِ فــاهـتــزَّ الحِــجْـرُ والأركـــان

أشـــــرقَ الفــــجـــرُ والظلامُ تولَّى

وانتــــهى الماضي كلُّهُ، والهَـــوان

وأتى النصـــــرُ فــــجْــرُهُ لاحَ، والنُّو

رُ بَــدا فـــي الـــظـــلام، والـــريَّـــان

أحــــمـــدُ الحقُّ والهـــدى والموازيـ

ـنِ أتى فَــــاسْــــتـــوى به الميــــزان

وأتى الوحيُ بالحـــيــاةِ وبالبَــــعْـ

ـثِ، وحـــســبي وحــسْــبُكَ القـــرآن

****

صور من كتابات الخفاجي ونقده

العقاد والعبقرية(*)

يرقد في محراب الجلال، وحمى الخلود، وكهف الأبدية، المفكر الذي طالما روَّع الطغاة، ونضَّر وجه الحياة، ومثل أروع مواقف الرواد والدعاة، والذي عاش صورة مشرقة لشموخ الفكر العربي بكل جلاله وجماله.

كان الكاتب الإسلامي الكبير عباس محمود العقاد شيخ المفكرين والأدباء في القرن العشرين، وكانت عبقريته ملء السمع والبصر، وكان يؤمن دائمًا بالعبقرية، ويشك في الذين ينتقصون من مواقف الابطال، أو يسفهون آراءهم، أو يحيطون بواعثهم بالريب، أو يردونها إلى التماس المنفعة الشخصية وطلب المجد الذاتي.

كتب عبقرياته الإسلامية عن أعظم عباقرة الإسلام وأبطاله، واتخذ مواقف العبقرية والتحدي طول حياته منهجًا له، ومثَّل العبقرية كاملة بشموخه وصموده في أزمات الحياة ومشكلاتها، وبفكره الرفيع وأدبه الخالد البليغ، كانت كل سيرة حياته وفكره وأدبه مثالاً عاليًا لعبقري من عباقرة الإنسانية الخالدين.

أدب العقاد، شعره، فكره، فلسفته، كلها نابعة من هذا التيار من وجدان عبقري صارت حياته في كل خيوطها وألوانها ومواقفها نسيجًا عبقرياً متلاحم الأجزاء، عضوي الصور والظلال.

دعوة العقاد للتجديد منذ أوائل القرن العشرين، في نطاق مدرسة الديوان، مع زميليه: عبدالرحمن شكري وعبدالقادر المازني، ووقوفه موقف التحدي الكبير لرواد الحركة الأدبية والشعرية المجددين من المحافظين، من أمثال: شوقي، وحافظ، والمنفلوطي، وكتاباته عنهم لأعنف الفصول النقدية التي حفظها لنا تاريخنا الأدبي وثائق ذات قيمة كبيرة في حياة مدارسنا النقدية والشعرية.

(*) الخفاجي في كتابات المعاصرين، كتابات لا تنسى، رابطة الأدب الحديث، ص ٤

ثم دعوته للوحدة العضوية، وللتجربة الشعرية، في القصيدة، وإيمانه بأن الشعر يجب أن يكون تعبيرًا عن ذات الشاعر ووجدانه وأحاسيس روحه الباطنية العميقة، وصادرًا عن نفس الشاعر وطبعه ومشاعره، حتى ليصبح أساس الحكم بعظمة شاعر هو ظهور شخصيته في شعره، وصدقه في الإحساس والتعبير.

مواقف العقاد السياسية منذ أن ناضل في صفوف الشعب، مع أبطال ثورة عام ١٩١٩م إلى ما قبل وفاته، وتبريزه في الجدل السياسي، وفي النقد الصحفي.

كل ذلك من صور عبقرية الرجل وعظمته.

ولقد كان في العقاد حدس الشاعر ورهافة حسه، ودقة ملاحظة العالم وقدرته على التحليل والتعبير، وعمق الفيلسوف ونفاذ نظراته وسعة إحاطته.. اعتز بلغته ودينه ووطنه وعروبته اعتزاز المؤمن العميق الإيمان بكل ما يذهب إليه.

ومع ذلك فقد كان واسع الأفق رفيع الخلق، إنساني النزعة، يكتب عن الصديق أبي بكر وعن عمر بن الخطاب، ثم يكتب عن إقبال وجناح وغاندي وبرنارد شو، ويحلل عبقرية محمد وعبقرية المسيح، ويكتب عن الله وعن آدم، وعن إبليس قائد الضلال والضالين.

الحياة عنده نموذج واحد، نموذج رفيع، لا ينحدر إلى شيء من سفاسفها ودنسها. وأهم البواعث في أدبه هو الحب وصدق العاطفة وحرارة التجربة وجمال الطبيعة.

وأدبه وشعره هدفهما تحبيب الناس في القيم المعنوية، والاعتزاز بالنفس، وتخليد مظاهر البطولة، وإبراز ما خفي من خواطره وتأملاته، من أجل تحرير الشعر والأدب من ربقة العبودية ومن النفاق.

تحدث العقاد في شعره عن الإنسان وعن سر وجوده، وعن عجزه عن معرفة أسرار الكون الغامض، وعن حاجته إلى الإيمان، كما عبر عن أعماق وجدانه ومشاعره وخوالجه وتأملاته، وارتساماته، وظمئه الروحي وحيرته النفسية العميقة:

ظمــانٌ ظمــانٌ لا صــوبُ الغــمــامِ ولا
عـــذبُ الـمُــــدامِ ولا الأنداءُ ترويـنـي
حــيــرانُ حــيــرانٌ لا نجمُ الســمــاء ولا
مــعــالمُ الأرض في الغــمَّــاء تهــديني
يـقظـانُ يـقظـانٌ لا طـيـبُ الرقـــــاد يُدَا
نِيني ولا سَــمَــرُ السُّــمَّــارِ يُلهــيني
شِعري دموعي وما بالشعـر من عِوَضٍ
عن الدمـــوع نفــاها جَــفنٌ مــحــزون
يا ســوءَ مــا أبقتِ الدنيــا لمغــتــبطٍ
على المدامع أجـــفـــانُ المســـاكين
أســوانُ أســوانٌ لا صــفـو الحــيــاة ولا
عــجــائبُ القـــدرِ المكنونِ تَعنيني
أصــاحبُ الدهرَ لا قلبٌ فــيــســعــدني
على الزمــان ولا خلٌّ فــيــأســـوني
يديكَ فـــامحُ ضنَّى يا دهرُ في كــبــدي
فلستَ تمحـــــوهُ إلا حين تمحُـــوني

ويهاجم العقاد طول حياته السطحية والابتذال والعامية والسوقية، ورأى الشعر فنًاً يجب أن ترتفع الأذواق إلى مستواه، لا أن ينزل هو إلى مستوى الناس.

وكتب العقاد في (المساء الأسبوعي) يقول: إنه يكتب للخاصة ولا يسوؤه أن يقرأه العامة، وقال: إن الأدباء وشبابهم يعيشون في عصر العقاد، نعم العقاد العظيم، لا في عصر أحد غيره، فأي اعتزاز بالنفس وبالذات أعلى وأسمى من هذا الاعتزاز.

لقد كان العقاد في كل مواقفه العبقريُّ الصادر عن فكر مفكر عبقري، اتخذ العبقرية موقفًا محددًا له، طيلة حياته، شابًا ورجلاً وكهلاً مجريًا، يرزح تحت أعباء السنين والأيام.

حياته لون من ألوان الجهاد، لم يرد ان يحمل غيره فيها أعباء الكفاح معه في سبيلها.

عاش حياته مع محمد عبده وسعد زغلول، وأخذ عن الأول كل فلسفته الإسلامية والإيمان الروحي العميق، من حيث أمده الثاني بكل فلسفته السياسية، وبروح العظمة الذاتية وحب البطولة والأبطال، وأيقظ في نفسه روح الفداء، والتضحية من أجل الوطن وحريته وعزته.

ولما لم يجد مثل محمد عبده وسعد زغلول عاش مع أبطال عبقرياته مؤمنًا متزهدًا متصوفًا أعمق التصوف في الحياة، مع كل ما كانت تزخر به نفسه من قوى معنوية لا تنفذ.

وبعد..

فهذا هو العقاد؛ بطل من أبطال النضال، وفيلسوف من فلاسفة الفكر، وعبقري عملاق صعد في مدارج العبقرية حتى قمتها.. وأدى رسالته كاملة في حياته، حتى إذا انتهى من أدائها، صعدت روحه إلى ربه راضية مرضية.

****

إقبال شاعر الإسلام(*)

(١)

يعيش شاعر الإسلام «محمد إقبال» (١٨٧٧ - ١٩٣٨م) في وجدان العالم الإسلامي وضميره ومشاعره أبدًا.

وهو عند المفكرين المصريين حاضر دائمًا لا يغيب عن فكرهم وروحهم طرفة عين.

وحين ألفت جمعية أصدقاء الشاعر «محمد إقبال» في القاهرة منذ أكثر من عشر سنوات، كنت أحد أعضائها، وكان من أعضائها معنا المرحوم الدكتور «أبو الوفا التفتازاني» (ت ١٩٩٤/٦/٢٩م) رحمه الله تعالى. كما كان من أعضائها الدكتور «حسين مجيب المصري»، والدكتور «نصر الله مبشر الطرازي» وغيرهم.

ولقد شاركت السفارة الباكستانية في القاهرة، رابطة الأدب الحديث، في حفل كبير لذكرى إقبال عام ١٩٨٨م، وقد أقمنا هذا الحفل بدار نقابة الصحفيين في القاهرة، وألقيت فيه كلمة الافتتاح، كما قدمت الأساتذة المتحدثين، وتحدث فيه سفير باكستان في القاهرة وعدد من كبار المفكرين والأدباء والشعراء.

وفي ١٩٩٩/٤/١٨م أقمنا في دار رابطة الأدب الحديث حفلاً كبيرًا لذكرى «إقبال»، تحدث فيه عدد من الأساتذة في مقدمتهم الأستاذ الدكتور «محمد السعدي فرهود» رئيس جامعة الأزهر الأسبق.

وأذكر هنا أن الشاعر «محمد إقبال» رحمه الله تعالى رحمة سابغة - كان دائم التطلع إلى مصر وأزهرها وعلمائها وأدبائها، بعين التقدير.

(*) كتابات لاتنسى، ص ٩.

(٢)

ولقد استمعت إلى إقبال عام ١٩٣١م وهو يحاضر جمهورًا كبيرًا من العلماء والمفكرين والشباب في دار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة في الأول من ديسمبر عام ١٩٣١م، وكنت آنذاك طالبًا في الثانوي في معهد الزقازيق الديني الأزهري وعضوًا في جمعية الشبان المسلمين في الزقازيق، وقد حضرت إلى القاهرة خصيصًا لسماع «إقبال» وهو يحاضر في الجمعية، ومع أن حديثه كان بالإنجليزية إلا أن الحديث ترجم لنا بالعربية وهز قلوبنا وأرواحنا هزاً عنيفًا.

قدمه الدكتور «عبدالوهاب عزام» إلى الحاضرين تقديمًا رائعًا، وأفاض «محمد إقبال» بشخصيته الحاضرة دائمًا في وصف أحوال المسلمين في العالم الإسلامي، وفي تطور الفكر الإسلامي المعاصر، معربًا عن جوهر فكره الإسلامي.. ثم تحدث الدكتور «عبدالحميد سعيد» رئيس الجمعية.

وزار إقبال شيخ الأزهر الشيخ «محمد الأحمدي الظواهري» في مكتبه بشارع نوبار، وتحدث إليه عن مسؤولية الأزهر عن الدعوة إلى الإسلام وعن الدفاع عنه.

وزار «إقبال» كذلك الأمير «عمر طوسون» والزعيم «مصطفى النحاس» وأمير الشعراء «أحمد شوقي» وعددًا من كبار المفكرين.

وكان «إقبال» آنذاك في زيارة قصيرة جدًا لمصر استمرت خمسة أيام، وهو في طريقه إلى فلسطين لحضور المؤتمر الإسلامي العالمي العام في القدس الشريف.. وقد وصل إليها في صباح يوم الأحد السادس من ديسمبر عام ١٩٣١م.

ولم يكن «إقبال» ينسى مصر ولا أزهرها أبدًا، ويرى أن الأزهر هو منارة العالم الإسلامي قاطبة، وحين كان الشيخ «إبراهيم الجبالي» شيخ كلية أصول الدين في الأزهر، يرأس عام ١٩٣٧م وفدًا من علماء الأزهر لدراسة أحوال المسلمين في الهند، قبل قيام باكستان عام ١٩٤٧م، أقام «إقبال» حفلاً كبيرًا للوفد في لاهور عاصمة الثقافة الإسلامية في الهند آنذاك، ورحب في هذا الحفل بوفد الأزهر ترحيبًا كبيرًا، وتحدث في الحفل عن

ضرورة قيام نهضة إسلامية عامة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وكان «إقبال» يكرر دائمًا بأن الأزهر، وأن مصر هما كعبة الثقافة الإسلامية ومصدر علوم الإسلام.

(٣)

كان «إقبال» من دعاة الوحدة الإسلامية، وكان ينادي دائمًا بأن على المسلمين أن يعملوا بدينهم وبكتاب الله وسنة رسوله، وأن يعوا وعيًا تامًا دور الحضارة الإسلامية في قيادة العالم، وأن يعرفوا أن حضارة الغرب المادية على وشك الانهيار والإفلاس.

وقد زار «إقبال» الأندلس وصلى في مسجد قرطبة العظيم ورفع فيه صوته بالأذان، والأندلس كما نعرف هي الدولة العربية الإسلامية في أوربا التي عاش الإسلام فيها ثمانية قرون (٧١١ – ١٤٩٢م).. كما زار صقلية مهد الحضارة الإسلامية في فترة من أهم فترات تاريخها (٨٢٥ – ١٠٩١م). ووقف أمام مشاهد الإسلام بقلب ملؤه الخشوع والإجلال والإيمان العظيم.

****

ماذا تقول الشاعرة(*)

(١)

نازك، الشاعرة العربية، التي طبقت شهرتها العالم، بطلة الشعر الجديد، الشعر الحر، أو شعر التفعيلة، التي وضعت أسسه وعروضه، ولم تنس القصيدة العمودية، التي كتبتها ببلاغة وروح متميزة، كما كتبت في النقد الأدبي، وفي التراجم الأدبية، وفي القصة.

في عام ١٩٤٧م صدر ديوانها الأول «عاشقة الليل» الذي قدمها لمحبي الشعر ومتذوقيه شاعرة رائدة، وعرف بها الشعب العربي في وطنها العراق، كما عرف بها الأمة العربية، وقد اختارت الشاعرة له هذا الاسم لأن الليل كان يرمز عندها إلى الشعر والخيال والأحلام المبهجة، وجمال النجوم، وروعة القمر، والتماع دجلة تحت الأضواء. وكانت تحب الليل وتعزف فيه على عودها في حديقة منزلها الخلفية بين الشجر الكثيف، تغني ساعات كل مساء، وكان الغناء سعادتها الكبيرة منذ الطفولة، ويمثل هذا الديوان المرحلة الأولى التي عاشتها الشاعرة، في قمة نشوتها ورومانسيتها وتأثرها بالشعر الحديث، وبأبولو على وجه الخصوص، وبشعرائها الذين ملأوا الساحة الأدبية شعرًا وشعورًا. محمود حسن إسماعيل، وعلي محمود طه، وناجي، وصالح جودت، ومعهم من شعراء العروبة بدوي الجبل، وعمر أبو ريشة، وبشارة الخوري، وأمجد الطرابلسي، وسواهم.

وفي هذه المرحلة كان تأثرها شديدًا بوالدتها الشاعرة «أم نزار الملائكة» (ت ١٩٥٣م) التي كانت تعجب خصوصا بشعر ناجي وصالح جودت، كما كان الزهاوي شاعرها المفضل.

وتأثرت الابنة الشاعرة في هذه المرحلة بشعر محمود حسن إسماعيل وعلي محمود طه الذي كتبت عنه كتابًا صدر في القاهرة عام ١٩٦٥م ضم محاضراتها التي ألقتها عنه

(*) كتابات لا تنسى، ص ١٢.

في معهد الدراسات العربية بالقاهرة، وكان تأثرها بشعره وشاعريته كبيرًا خلال هذه المرحلة من مراحل حياتها الشعرية، وهي مرحلة الصبا والشباب، وكان عنوان هذه الدراسة في طبعتها الأولى هذه «شعر علي محمود طه»، وبعد سنين طويلة صدرت لهذا الكتاب طبعة ثانية في بيروت بعنوان «الصومعة والشرفة الحمراء».

ولا ننسى أن عام ١٩٤٧م كان عامًا حافلاً في حياة نازك الشعرية، ففيه اهتدت الشاعرة إلى موسيقى الشعر الحر، ووضعت أسسه العروضية، وكتبت قصيدتها «الكوليرا» وهي أول قصيدة منه.

وفي عام ١٩٤٩م صدر ديوانها الثاني «شظايا ورماد» وفيه تأكيد ريادتها للشعر الحر، أو شعر التفعيلة، وقد قدمت له بمقدمة ضافية حددت فيها الأوزان الأساسية الصافية لقصيدة الشعر الجديد، ودعت للنظم منه.

وتمر أعوام، ويجيء عام ١٩٥٧م، وفيه صدر للشاعرة ديوانها الثالث «قرارة الموجة» وقد أهدته إلى والدتها التي لقيت ربها منذ أربع سنوات، وتقول في الإهداء بلغة غاية في الإيجاز، إلى والدتي أول شاعرة خصبة تتلمذت عليها.

ويمرُّ أحد عشر عامًا ويصدر للشاعرة الديوان الرابع «شجرة القمر» عام ١٩٦٨م، ويمثل هذا الديوان مرحلة جديدة لشعرها الذي تطور تطورًا واضحًا عما كان عليه في المرحلة السابقة، مرحلة «قرارة الموجة» الفكرية التي غلب عليها فيها التأثر الشديد بالفلسفة والفكر العقلي، مما ظهر أثره في شعرها ونثرها على السواء.

وفي عام ١٩٧٠م صدر الديوان الخامس «مأساة الحياة وأغنية للإنسان»، وهو مطولة شعرية واحدة، وينتمي هذا الديوان إلى المرحلة الشعرية الأولى من حياة الشاعرة.

وفي عام ١٩٧٣م صدر ديوانها السادس «للصلاة والثورة»، وهذه الدواوين الستة صدرت في المجموعة الشعرية الكاملة لنازك، التي طبعتها دار العودة البيروتية في جزءين كبيرين.

(٢)

وكان عام ١٩٧٤م عامًا حافلاً بقصائدها الشعرية، التي جمعتها في ديوان اختارت له عنوان.. «يغير ألوانه البحر» طبع في بغداد ثم طبع أخيرًا في القاهرة عام ١٩٩٩م، وهو الديوان الذي نتحدث عنه في هذه الكلمة، والذي يضم إحدى عشرة قصيدة طويلة.

«يغير ألوانه البحر» يمثل شخصية الشاعرة تمثيلاً واضحًا، حيث تتجمع فيه روح الثورة وروح العروبة والإنسانية الكبيرة ممثلة في شعرها الإسلامي والصوفي والإنساني الرفيع؛ وذلك في عناق طويل للحياة وللإنسان.

ونازك – كما علمنا ونعلم – من أعلام الشعر العربي الحديث، والرائدة الكبيرة للقصيدة الجديدة، قصيدة شعر التفعيلة، التي كانت أولى قصائدها منه قصيدتها «الكوليرا» وقد نظمتها عام ١٩٤٧م حول مأساة وباء الكوليرا الذي تفشى في مصر في هذا العام، وتقص الشاعرة علينا قصة كتابتها لهذه القصيدة في صدر مقدمتها لديوانها «يغير ألوانه البحر»[(١)].

ونحن لا ننسى أن نذكر أن الشاعرة من مواليد ٢٣ أغسطس ١٩٢٣م في بغداد من أسرة الملائكة الشاعرة.

وقد حصلت على درجة الليسانس في الآداب من قسم اللغة العربية من دار المعلمين العليا ببغداد عام ١٩٤٤م بمرتبة الشرف الأولى – برتبة الامتياز. وذاعت شاعريتها وشعرها في أفق بغداد في هذه الفترة، وكانت قد بدأت تكتب الشعر منذ كانت في العاشرة من عمرها.

عملت مدرسة في كلية التربية بجامعة بغداد فترة قصيرة، ثم في جامعة البصرة لمدة أربعة أعوام، ثم في جامعة الكويت لمدة اثنتي عشرة سنة.

وهي تجيد الإنجليزية والفرنسية واللاتينية، وهي لغات قرأت آدابها، كما قرأت من الشعر العربي الكثير والكثير من دواوين شعرائه المعاصرين، وبخاصة شعراء مدرسة أبولو، والمهجر.

---

(١) الديوان – ص ٥ – ١٢ .

سافرت إلى أمريكا لمدة عام على حساب مؤسسة روكفلر الأمريكية لدراسة النقد الأدبي في جامعة برنستون في نيوجيرسي، وكانت هي الفتاة الوحيدة فيها، لأن هذه الجامعة لم تكن تقبل إلا الطلاب الذكور فقط دون الإناث.

وعادت إلى بغداد، ثم صحبت أمها عام ١٩٥٣ م في رحلة علاج إلى لندن، حيث توفيت الأم هناك، فعادت إلى بغداد.

وفي عام ١٩٥٤ م سافرت إلى أمريكا في بعثة دراسية لدراسة الأدب المقارن في جامعة مارس وسنكسن، وعادت من هذه البعثة بعد عامين حصلت في نهايتهما على درجة الماجستير.

وواصلت حياتها الأدبيه والشعرية والجامعية بحماس وعمل متواصل.

صدر لها في النقد كتاب «قضايا الشعر المعاصر» عام ١٩٦٢م، ثم كتابها «شعر علي محمود طه» عام ١٩٦٥م.

وما تزال الشاعرة نازك حاضرة في حياتنا الشعرية والأدبية سواء في بغداد أم في القاهرة التي تقيم فيها اليوم في رحلة علاج.

وقد كرمتها الهيئات الأدبية في القاهرة سواء في رابطة الأدب الحديث، أم في دار الأوبرا المصرية بالاشتراك مع السفير العراقي الشاوي ممثل العراق لدى الجامعة العربية، وذلك في مهرجان كبير بمناسبة مرور خمسين عامًا على ميلاد قصيدة الشعر الحر.

ولازلنا نذكر قصيدتها الرائعة في تحية ثورة تموز ١٩٥٨م، وهي التي تقول فيها في بساطة وحيوية:

فرح الأيتام بضمة ابوية
فرحة عطشان ذاق الماء
فرحة تموز بشمس نسائم ثلجية
فرح الظلمات بنبع ضياء
فرحتنا بالجمهورية[1]

---

(١) راجع القصيدة في المجموعة الشعرية الكاملة للشاعرة ٢٤٥/١ – دار العودة.

(٣)

ديوان الشاعرة «يغير ألوانه البحر» يضم شعرها الذي نظمته عام ١٩٧٤م، ويتضمن قصائد ذاتية وقصائد دينية وأخرى إنسانية، وقصائد ثورية عربية، تصور إيمان الشاعرة بالحرية.

وهي كلها تمثل مرحلة كبيرة من مراحل حياة الشاعرة الشعرية، مرحلة تتسم بطباع الشخصية الحرة، المتطلعة إلى آفاق عالية، والمتمثلة في فكرها الذاتي والإنساني والثوري وشعر الحرية.

والديوان، أو قل قصائد الديوان، تنطلق من تجارب عميقة في وجدان الشاعرة، وتتحدث عن أرفع القيم في حياة المجتمع وفي حياة الإنسان المعاصر.

عنوان هذا الديوان مأخوذ من عنوان قصيدتها الأولى فيه، وهي «ويبقى لنا البحر»[١].

وقصائد الثورة والحرية والعروبة في الديوان تتمثل في قصائدها عن مصر، وعن فلسطين، قصيدتين عن مصر، وثلاث قصائد عن فلسطين، عن مصر نقرأ لها القصيدة الثانية في الديوان «الماء والبارود»[٢] وهي من ذكريات حرب رمضان، السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، وهي من الشعر الحماسي، تقول الشاعرة:

الله أكبرُ
هتَافةُ الأذانِ في سيناءَ تُبحرُ
من موجها تسيلُ في الصحراء أنهرُ

وفي هذه القصيدة تشير إلى معجزة من معجزات الله، حيث كان جنود مصر المحاربون والصائمون لا يجدون في صحراء سيناء الماء، ليرووا به عطشهم، وتجيء طائرة إسرائيلية تلقى قنابلها بالقرب منهم فتتفجر الارض عن ماء بارد كالكوثر يروي به الظامئون عطشهم، وتمثل هذه المعجزة بمعجزة نبع الماء لأم اسماعيل في مكة بلد الله الحرام، حيث صارت بئر زمزم المباركة نبعًا دائمًا يرتوي منه حجاج بيت الله.. وهكذا

---

(١) الديوان طبعة القاهرة – ص ٣١ – ٤٤.
(٢) نفس المصدر، ص ٤٥ – ٧١.

تسترسل الشاعرة في تصوير مشاعر المحاربين، وفي نبع الماء من الصحراء، وفي إقبال الجنود على الماء يروون منه ظمأهم، إلى أن تقول:

جنودَ مصرَ الصائمين!
أم قدْ آنَ لكم أن تفطروا

في تصوير رائع لكفاح أبطال مصر في حرب رمضان، أكتوبر ١٩٧٣م، حرب تحرير تراب مصر من الاحتلال الاسرائيلي البغيض.

ولندع هذه القصيدة الرائعة إلى القصيدة العاشرة في الديوان «السفر في المرايا الدامية»[1].

حيث تتحدث الشاعرة في هذه القصيدة عن تحرير مدينة القنيطرة في أعقاب معركة السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، وتطهيرها من وباء الاحتلال الصهيوني البغيض في ٢٦ حزيران من عام ١٩٧٤م، وتقول الشاعرة في مطلع هذه القصيدة:

قال القمر
حبيبتي قد رجعت من السّفَرْ
حبيبتي القنيطرةْ
صفحةُ مرآة دمٍ مكسرةْ
قال القمر
حبيبتي بعد سنين غربةٍ قد رجعَتْ من السّفَرْ

القصيدة تبلغ غاية الجمال والروعة، إنها صورة لفرحة الجندي المصري والشعب المصري والعربي برجوع القنيطرة إلى وطنها الأم، الوطن المناضل من أجل الحرية والتحرير.

وعن فلسطين تقرأ في الديوان ثلاث قصائد أولاها: قصيدة «مرايا الشمس»[2]، وهي القصيدة الخامسة كتبتها الشاعرة حين أهداها قرينها الأستاذ الدكتور عبدالهادي محبوبة

---

(١) الديوان – ص ١٨٥ – ١٩٥.
(٢) نفس المصدر، ص ١١٧ – ١٢٩.

خريطة لفلسطين أثارت شجونها، فأخذت في قصيدتها هذه تطوف بمدن فلسطين وقراها الجميلة، وتلتفت إلى حاضرها الدامي وهي تئن تحت سياط الغاصب المحتل:

حتى أرى اسم الله محفورًا على شجراتها

مستودعًا في قلب تعريشاتها

حتى أرى اسم الله أنداءً وخضرةْ

في كل بياراتها

وردي

ودمعي

والسكاكين الحدادِ

ونكرَ ربي

وما أجمل ما تقول في هذه القصيدة، بلسان الضحايا:

وعرفت سرَّ البعد، سرَّ التيه

إني قد نسيتُ

أن أنقشَ اسمَ الله فوق صخورها

وحَرمْتُها من ضوئه، من دفئه

عذرًا لعطر ترابها وورودها، ونهورها

أفرغتُها من سرِّ قوتها

رضيتُ لربوعها الفقرَ الحزين

كلا سأرجعُ للخريطة

أنثر القرآنَ أجنحةً على كل المزارع

والقصيدة الثانية من قصائد الشاعرة عن فلسطين، هي قصيدة «تمتمات في ساحة الإعدام»[1].

تصور الشاعرة في هذه القصيدة تنفيذ الإعدام في فدائي وفدائية فوق أرض فلسطين الحرة.

---

(١) الديوان – ص ١٧٧ – ١٨٥.

إنها روح تتألم، وضحايا احتلال مدجج بكل ألوان السلاح.

والقصيدة الثالثة «سنابل النار» هي القصيدة السابعة في الديوان[1]؛ وتقول فيها فيما تقول:

أنا في حبِّ فلسطينَ أعيشُ العمرَ عُمْرينْ

وأسبح في مدارينْ

وترقص لي عرائسُ ماء بحرينْ

دمٌ يجري

بلونِ الغضبِ النازفِ من جرح فلسطينْ

وفي مطلع القصيدة تقول الشاعرة:

«ذاتَ مساء أثمرت النار، فاشتعل الحبُّ ثلاثَ دوائر، واصفرّتْ معه النار، ثم احمرّتْ، ثم صارت بيضاءَ تحرقُ عيني من يُحدِّق فيها»..

وفي هذه القصيدة تقول الشاعرة:

على روحي تهبُّ عواصف رعناءْ

وفي قلبي ينام شتاءْ

وفوق غصونِ أهدابي السُّهارى تسقطُ الأمطارْ

ويلطم فكرتي الإعصارْ

وتطرقُ بابَ ذاكرتي عيونٌ

أوجهٌ

أخبارْ

من الماضي، وتصرعني همومٌ ثلجيةِ الأستار

تقلِّبُني جبالُ خواطرٍ وبحار

تدبُّ النارُ مشعلةً ثلوجَ دمي

---

(١) الديوان – ص ١٤١ – ١٦٣.

والقصيدة برمزيتها وبأثر الاغتراب فيها وبأسلوبها المحفور من الأعماق، صورة من صور القصيدة الجديدة عند شاعرتنا المبدعة.

أما القصائد الصوفية والإنسانية عند شاعرتنا فتبرز لنا في صور مختلفة.

صورة قصيدة المناجاة الصوفية الرفيعة لذات الله من شاعرة متبتلة متهللة، قصيدة ميلاد نهر البنفسج[1]، وهي القصيدة السادسة في الديوان، وتقول الشاعرة فيها فيما تقول:

مليكي فأنتَ القصيدْ
وأنت جمالُ القصيدةْ
ومن ضوء وجهكَ يطلعُ فجرُ القوافي العنيدةْ
كلؤلؤةٍ في الظلام فريدةْ

مناجاة وما أروعها من مناجاة، وابتهال وما أعمقه من ابتهال.. إنها أمام الله تحاول أن تكتب قصيدة في ذات الله، في الحب الروحي من وجدان صادق، وتحاول ما تحاول حتى تخرج القصيدة وتفرح بميلادها.

وتبـــــرز في الضـــــوء أغلى هدية
وأحلى، أرقُّ، أحبُّ صـــبـــيَـــبـــةْ

والصورة الثانية صورة قصيدة المديح النبوي بأسلوب جديد، ونهج جديد، لفكر جديد، حيث نرى ذلك كله في قصيدة «زنابق صوفية للرسول» وهي القصيدة الثالثة في الديوان[2]، وتقول الشاعرة فيها فيما تقول:

من أبد الضوء جاء أحمدْ
من غابة العطر والعصافير هلَّ أحمدْ
عبرَ عطور القرآن عبرَ التراتيل والصوم
شعَّ أحمدْ
من عمق أعماق ذكرياتي
من سنواتي المختبئاتِ
في شجر السرو

(١) الديوان – ص ١٣١ – ١٤٠.
(٢) المصدر نفسه: ص ٧٣ – ٩٤.

من عطور الخشخاشِ واللوز
وجه أحمد

ثم تقول:

جناحُهُ يجرف الخوفَ والحزنَ من حياتي
يُزيحُ استاريَ المسْدَلَةْ
يفتح في عمري كلَّ بوابةٍ مقفلةْ
يمنحني للوجود شعرًا، اذانَ فجرٍ، غيبوبةً، ركعةً، سنبلةْ
أحمدُ زنبقةُ الله تقطر فوق صلاتي
تنقط عطرًا منوبًا في تنهداتي

وتقول فيها كذلك:

يا سُبُحاتي
يا صوم اغنيتي
إني انا حُرْقَةُ المتصوّفِ في غسق الليل
أحمدُ، احمدْ

القصيدة تعبر عن وجدان مؤمن نقي القلب والروح والفكر، صافي النفس، طاهر العقل، عميق الشعور والإحساس بعظمة الرسالة والرسول.

والقصيدة الرابعة في الديوان[1] بعنوان «دكان القرائين الصغيرة» قصيدة ذات طابع ديني رفيع، وهي صادرة من قلب خاشع نقي السريرة، يرى في القرآن كل حياة وكل سعادة وكل محبة وعظمة وأمن وسلام، إنها رحلة بحث عن قرآن، مصحف صغير، تهديه لحبيبها قبل سفره، وبين دكاكين المدينة وشوارعها تجول الشاعرة باحثة عن دكان المصاحف الصغيرة.

في ضباب الحلْم طوّفت مع السّارينَ في سوقٍ عتيق
غارقٍ في عطر ماء الورد
وامتدَّ طريقي
كنت نَشْوى في ازرقاق الحلْم

(١) الديوان – ص ٩٥ – ١٥١.

أمشي وأُسَائِلْ

أين دكان القرائين الصغيرة؟

أشتري من عنده، في الحلم، قرآنا جميلاً لحبيبي

يقتنيه لحنَ حبٍّ

قمرًا في ليلةٍ ظلماء

عندما في الغد يرحل

عن مطار الأمس والذكرى حبيبي

وتسير الشاعرة في السوق تسأل كل عابر يسير بقربها: أين دكان القرائين (جمع قرآن) الصغيرة، وتستمر في السير والتطواف والسؤال، إلى أن تقول:

وانتهى السوق، وفي حلمي يئستُ

وعلى دكة أمالي الطعينات جلستُ

وانتحبتُ

لم يعد في السوق من ركن قصيٍّ لم أقبله

وحبيبي سيغادرْ

دون قرآن هدية

وحبيبي سيسافر

خاوي الكف من القرآن

من عطر البيادر

وأنا أبقى شجيّة

وإلى أن نتلاقى يا حبيبي

هل ترى عذوبة أجمل من هذه العذوبة؟ أو جمالاً أبهى من هذا الجمال؟

إنها شاعرية نازك المبدعة المحلقة.

أما القصائد الذاتية الوجدانية الأخرى في الديوان:

- قصيدة.. ويبقى لنا البحر.
- قصيدة السماء على غابة الصبير.
- صور وتهويمات أمام أضواء المرور.. فهي قصائد فريدة.

القصيدة الأخيرة من هذه القصائد الثلاث، وهي القصيدة الحادية عشرة في الديوان[1]؛ تصور رحلة الحياة، رحلة السفر إلى أعماق أعماق المصير، وكأن العمر كله هو موقف انتظار أمام أضواء بوابة المرور:

الضوء الأحمر
والضوء الأصفر
والضوء الأبيض

إنها صورة من صور اغتراب الشاعرة في عالم الطلسمات، وفي آخر القصيدة تقول الشاعرة:

ما بين الأحمر والأصفر والأخضرْ
تضحكُ يا قلبي، تبكي، تتذكّرْ
وتسيرُ، تسيرُ.. إلى أين؟

وما أجمل ما تقول الشاعرة فيها:

المسعى والظلمةُ ممدودةْ
والأرض المنشودةْ
ومروج الفُستقِ والعنبرْ
ونهور الكوثرْ
خلف ضباب البحر بعيدةْ
وغدي طرقاتٌ مسدودةْ
وبياني خاوية تصفِّرُ فيها الريح
وفؤادي تصرعه أوتار تحفر فيه مفاتيح
يا دفئي، يا مطري المسحور
يا تعريشاتٌ من بلور
يا وجهَ حبيبي، يا وجهَ حبيبي

---

(١) الديوان - ص ١٩٧ - ٢١٥.

وقصيدة «السماء على غابة الصبير» هي القصيدة الثامنة في الديوان[1] ومطلعها:

الحب والعذاب أقبلا

تبسّما في وَلَهٍ عذب، وذابا خجلا

الحب قال لي: صباح الخيرْ

فقلت للحب: صباحي أغنياتٌ

ضفتا نهرْ

سماءٌ، طيْر

وقال لي العذاب محزونًا: مساء الخير

فقلت للعذاب: قلبي قُبّراتٌ رحلتْ

وأغنياتٌ هطلتْ

وغابةٌ يسكنها الطحلب والصُّبيرْ

والحُبُّ والعذابُ قالا: خذينا نحن توأمان

جرحان ضائعانْ

أو وترا كمان

والحب والعذاب قالا لي :

وأنت بحاري

ووجهك داري

فنضحك نبكي، وعيناك تعكس لون البحر

ويبقى لنا اللون والبحر والأبد المنظر

القصيدة برمزيتها وبكل فنها وصور خيالاتها تعكس رؤية الشاعرة للحياة، وللحب، وللألم وللأمل.

---

(١) الديوان – ص ١٦٥ – ١٧٥.

(٤)

هذا الديوان مرحلة جديدة كل الجدة من مراحل شاعرية الشاعرة، وحياتها مع الإلهام والخيال والفن.

إنه مسحة من الحب والعذاب، من الأمل والألم والسراب، إنه صيحة من صيحات الحرية، والبكاء على وطن افتقده بنوه، ومن تمجيد للبطولة، وانتصار للإنسان؛ إنه مناجيات عذبة لذات الله، في حب إلهي صادق، وأحاديث عطرية عن القرآن وعن الرسول.

الديوان موجة هادرة في بحر لجي الموج، متلاطم التيار.

وماذا أقول عن لوحة كبيرة من الفن والبلاغة والشاعرية، تصور حياة شاعرة كبيرة تسنمت ذروة الشعر والفكر والمجد والعبقرية.

****

ماذا تقول الشاعرة جليلة رضا

في ديوانها الجديد «العودة إلى المحارة»

(١)

شعر الشاعرات المصريات يمثل الروح المصرية والطبيعة المصرية، لأنه نابع من تراث مصر، وحضارة مصر، ومن عظمة الفن والشعر في ضفاف هذا الوادي الكبير، في كل العصور والأجيال، والشعر هو صوت الماضي، وحداء الحاضر، وأنشودة المستقبل. إنه الممثل لفكر جيلنا وأجيال ستأتي من بعدنا، تهتف باسم مصر، ومجد مصر، وخلود شعبها المبدع الخلاق.

عائشة التيمورية، ملك حفني ناصف، جليلة رضا، روحية القليني، شريفة فتحي، لورا الأسيوطي، ملك عبدالعزيز، نور نافع، نجاة شاور، وفاء وجدي، صفية أبو شادي، وغيرهن من شاعراتنا المصريات، يرتفعن بشعر المرأة العربية المعاصرة إلى أفق الفن، والموهبة والطلاقة.

وأوضح الشاعرات المصريات اليوم تأثيرًا في حياتنا، وفي حياة الشعر المصري، شاعرة عرفت طريقها منذ ثلث قرن أو يزيد، وقرأها الناس بانبهار ومتعة وإعجاب شديد، شاعرة غنت لجماهير الشعب قصائدها الوطنية والعاطفية، التي تمثل رقة الذوق المصري، وجمال الصياغة الشعرية الحالمة، وبلاغة الكلمة الشاعرة التي تعبر بها المرأة عن همومها وطموحها وأفكارها وبيتها وأولادها.. في صياغة رمزية تكاد تقطر جمالاً، وخفة روح، وأصالة موهبة. شاعرة يمثل شعرها اللغة المصرية الراقية، الصافية التي تستمد من الحياة والطبيعة والكون والتراث طلاقتها وبلاغتها وقوة تأثيرها.. لقد عرفنا جليلة رضا في دواوينها: اللحن الباكي - اللحن الثائر - الأجنحة البيضاء - أنا والليل - خدش في الجرة - صلاة إلى الكلمة.. لمن أغني.

شاعرة رومانسية أبوللية، أخذت من ناجي وعلي محمود طه وصالح جودت، والهمشري والشابي، ومن شوقي وحافظ ومطران وأبي شادي، والعقاد وشكري، ومن إيليا أبي ماضي والصيرفي، ومن غيرهم من الشعراء، أنغامها وألحانها الجميلة المؤثرة القوية، أخذت منهم وعنهم أصول القصيدة وبناءها الفني، ونسجها العذب الجميل الممتع البليغ، في إبداع وطاقة شعرية موهوبة.

ثم عادت إلينا من جديد، بديوانها، العودة إلى المحارة، فنفحتنا بشذا الشاعرية العطري الزكي الذائع الأثر في كل مكان، ولماذا العودة إلى المحارة؟ أهي تريد العودة إلى الصمت، أو العودة إلى البيت والسكون والشعر وحده، أو ماذا؟

إن الشاعرة تجعل عناوين بعض قصائدها هكذا:

- جاء الخريف - عندما يموت الشاعر.

وذلك مما يفسر لنا معنى آخر لعنوان الديوان.

وتقول في قصيدتها «التجربة الكبرى»:

أتُرى التَّجاربُ كلُّها فرَغتْ
لا.. والتي في الغيب مستترةْ
عند المصيبِ هناك تجربةٌ
كبرى.. تعدُّ خطايَ .. منتظرةْ

تماما كما صنع الشاعر المهجري إلياس فرحات.. أصدر دواوينه: الربيع - الصيف - الخريف - مطلع الشتاء الذي طبعته له رابطة الأدب الحديث في القاهرة - يعلن به العد التنازلي لصحيفة الحياة.

الشاعرة تفكر في الغيب في الغد، في نهاية الحياة، ولكن أمامها ما يزال أمد طويل. العودة إلى المحارة. جزء من الرمز والحلم واليأس والشعور بنبض الحياة وشدتها أمام مشكلات العصر وأزمات الجيل.

-٢-

وجليلة رضا» شاعرة أبوللية حقاً، أستاذها الأول الشاعر إبراهيم ناجي، شاعرة رومانسية تحيا مع الطبيعة والنفس والذات والعاطفة القوية، ومع الأمل والألم، ومع الحرمان والغربة والأرق والحزن، ومع كل أحلام العذارى، وهمسات المحبين، ومع الليل والدجى، والقمر، والسهر، والسحر، ومع هموم الناس وأحزانهم وأشجانهم.

شاعرة من شاعرات الرقة العاطفية، غنّت للحرية وللإنسان وللضفاف الخضر، وللوادي المرع، وللنيل الهادر، وللقرية الوادعة، وللفلاح المسكين، وللعصفورة في عشها، وللهزار فوق الغصن، وللعندليب في الروض المعشوشب بين الزهور النضرة.

شاعرة تحدثنا عن مأساة عصفورة، ويا لها من مأساة، تقول لنا في وداعة وإنسانية وجمال:

مساءُ الخيرِ يا إخوتي
مساءُ الخيرِ يا جارةْ
وقفتُ هنا على الشبّا
كِ استجديكِ مُنهارة
فهل ترضينَ أن تُصغي
بلا ضيقٍ إلى المي

ثم تقص العصفورة قصتها للشاعرة..

خرجت من العش لتعود إلى أبنائها بالخير الوفير وعادت ولم تجد العش ولا الشجرةولا الأبناء.. إلى أن تقول العصفورة للشاعرة:

فأين الآن ابنائي
وأينَ العشُ يا جارةْ

ثم تستعطف العصفورة الشاعرة أن تسمح لهما ببناء عش جديد على شباكها الأخضر.

وانسى قسوةَ الماضي

وأصنع لي غدًا مزهر

وابني ها هنا عشًا

على شبُاككِ الأخضر؟

أجيبي إنني حيرَى

أريدُ الحلُ يا جارة

قصيدة إنسانية في غاية الرقة والعذوبة والجمال وخفة للروح.. وهي جديرة بأن تعد مع روائع شعرنا المعاصر.. وبأن تترجم إلى شتى الآداب العالمية.

(٣)

أأحدثك عن الشاعرة مع الألم والأرق والسهر والعذاب والحرمان؟

تقول الشاعرة عن نفسها: توجهت ذات يوم، كمريضة، لعيادة الدكتور إبراهيم ناجي، الشاعر والطبيب دون معرفة سابقة.. وتم اكتشافه لشاعريتي، وتبنيه لموهبتي، حتى أينعت..

قرأت للامرتين وفيكتور هيجو حيث أقرؤهما في الفرنسية التي أجيدها، وفي العربية قرأت أبا شادي وناجي وعلي محمود طه، ولنازك، وفدوى طوقان، وأعدت قراءة ديوان الشوقيات.

وكان مما أعجبني من قصائد كبار شعرائنا قصيدة (ولد الهدى) لشوقي والأطلال لناجي. إن الشعر الذي أستجيده هو الشعر المصور لسمات الصدق، والعمق، والموسيقى، وأنا أقول إنني شاعرة أبوللية فعلاً وبدواويني كلها أبنائي وأجملها الذي لم أبدعه بعد، وأخف قصيدة تشوقني هي قصيدة (إلى عصفورة) المنشورة بديواني الأخير (العودة إلى المحارة).. وأعمق قصيدة في نفس الديوان (حوار مع النفس)، تتحدث الشاعرة عن شيطان الشعر يلهمها قصيدتها: «الزائرة الحسناء»، وعن القلق ينتابها في لحظات تفكير عميق، في قصيدتها: الضيف الدائم.

أأحدثك عنها مع الطبيعة والربيع والروابي الحالمة والضفاف الخضر والنيل الهادر والوادي الساحر، والروضة الغناء، والهزار الشادي والكوخ الأخضر، والنخلة السامقة؟.

وفي قصيدتها «الطاووس» تتحدث عن الطبعية وحنينها إليها.

والعودة إلى المحارة ديوان نستمع فيه إلى صدى البهاء زهير وترانيم إبراهيم ناجي، وأغاني الصيرفي، ونرى فيه مظاهر للتجديد في الأوزان، والقافية والتجربة الشعرية، وروح الشعر في الإنسان.

****

إلى أبي شادي ... تاريخ لا ينسى(*)

رسالة عمرها سبعة وخمسون عامًا من الخفاجي إلى أبي شادي في نيويورك وهي رسالة تاريخية وقعت لدينا - بعد أن أرسلتها الشاعرة صفية أبو شادي منذ أيام إلى الخفاجي.

الأستاذ الكبير د. أبو شادي.

مع أصدق التحية والتقدير: أحبابك هنا بخير وهم جميعًا يحملونني تحيات ودعوات طيبة لك بالخير والتوفيق.

الحالة في مصر الآن طيبة وسارة، ونأمل أن تنهض مصر في العهد الجديد نهضة جديرة بها وبماضيها الخالد؛ وأفكارك في الإصلاح بدأت تظهر في شكل أعمال مثمرة في مصر. ما أحوج مصر إليك في هذه الفترة الفاصلة من تاريخها.. حالة مجلة المقتطف سيئة لظروفها المالية القاسية، وهي متنفس أدبي كبير، ولسوف يغلق هذا المنفذ إذا توقفت.

أهديت د. عبدالحميد بدوي باشا نسخة من ديوانكم المطبوع في أمريكا «من السماء» فسرَّ بها، وأثنى عليك وعليها، وعنوانه هنا ٨ ش نوبار - مصر الجديدة.

تراودني فكرة إصدار مجلة أدبية جديدة باسمي، وأعتقد أني عندما تسمح الظروف بذلك سأخرج الفكرة إلى حيز الوجود.. كتابي «رائد الشعر الحديث» سوف يظهر قريبًا، واطلع عليه أصدقاؤنا مخطوطًا، وهو عمل كبير في إضاءة تاريخ قيام جماعة أبوللو وتاريخ أبي شادي وأعماله الأدبية.

وأود أن أقول إن أدب أبي شادي كان قد نسي في مصر تمامًا حتى في الجامعات، وإن الذين يعرفون الكثير عن جهاده الأدبي إما خصوم يشوهون هذا الجهاد وإما أصدقاء

(*) كتابات لا تنسى، ص ٣٢.

صامتون لا يتكلمون عن أبي شادي إلا في مجالسهم الخاصة.. وكل ما قصدته من كتاب «رائد الشعر» هو أن أنقل الحديث عن أبي شادي.. من هذه المجالس الخاصة إلى مجالس الأدب والنقد في كل مكان.. وللأسف أخاف أن يكون من أدافع عنهم هم أول الطاعنين على هذا العمل الكبير.

إن كل ما أريد أن أقوله لك هو أن الجماعات الأدبية هنا ناقمة على قرب صدور كتاب ضخم عن أديب معاصر، وعن أبي شادي بالذات.. وأنا لا يهمني رضاهم أو سخطهم، كما لا يهمني لذع الأصدقاء.. ويكفي أنني أعمل ما يمليه عليَّ ضميري فقط وأود أن يكون في عملي ما يستوجب محمدة المنصف، ورضاء الناقد الحر..

مع تحياتي - خفاجي

١٩٥٢/١٠/٦م

****

الخفاجي والصحافة

آفاق في لقاء رئيس رابطة الأدب الحديث(*)

تعتبر الحركة الأدبية والثقافية في مصر منبعًا ينهل منه جميع أدباء الوطن العربي ونهجًا يسيرون على هديه، وعملية التأثير والتأثر بين أدبائها وأدباء الوطن العربي واضحة منذ زمن طويل إلى الآن، فالبارودي وشوقي وحافظ كانوا من أبرز الشعراء الذين دار الكثيرون في فلكهم.

ولا تزال مصر كذلك ولا سيما بتأسيس رابطة الأدب الحديث فيها التي لعبت دورًا واضحًا في إثراء الحركة الأدبية فيها.

فكان لآفاق هذا الحوار المفتوح مع أحد أساتذة اللغة العربية بجامعة الأزهر وأحد شعراء وأدباء مصر، ورئيس رابطة الأدب الحديث فيها، فأجاب مشكورًا على الأسئلة الموجهة إليه.

● ما هي مؤلفاتك وما أهمها في نظر د. محمد عبدالمنعم خفاجي؟

- «مؤلفاتي»:

نشأت وعشت والكتاب حبيب إلى نفسي، والكتابة تلازمني كل وقت، لا أفترق عنها. ولا تفترق عني، كتب صحفي مشهور منذ عشرين عامًا في جريدة الجمهورية، وهو أسعد حسني مقالاً كبيرًا، جعل عنوانه: الأديب الذي يتمنى أن يموت وعلى صدره كتاب.

مؤلفاتي منها موسوعات إسلامية وأدبية ونقدية وتاريخية ولغوية وغير ذلك، في الإسلاميات ألفت نحو مائة كتاب، منها: الإسلام وحقوق الإنسان ١٩٤٩، خلود الإسلام، الإسلام رسالة الإصلاح والحرية، الإسلام ومبادئه الخالدة، دين الإنسانية الخالد، الإسلام دين الإنسانية، إلى غير ذلك.

(*) عن مجلة آفاق التي تصدر عن جامعة الكويت عدد (١٩٨٢/١٠/٩).

وفي موسوعة تاريخ الأدب العربي ألفت سبعين كتابًا تناولت حياة الأدب العربي في كل عصوره منها عن العصر الجاهلي أكثر من عشرين كتابًا وعن العصر الحديث أكثر من ثلاثين كتابًا.

وفي التراجم الأدبية كتبت أكثر من ثلاثين كتابًا منها مثلاً: ابن المعتز وتراثه في الأدب والبيان، أبوعثمان الجاحظ رائد الشعر الحديث.

وفي التاريخ مثلاً كتبت عشرات الكتب منها: الأزهر في ألف عام - ٣ أجزاء (١٩٥٣م)، مواكب الحرية في مصر الإسلامية، سيرة رسول الله في أجزاء، السيرة النبوية الخالدة، الخفاجيون في التاريخ، مواكب النبوة، مشاهد من السيرة العطرة، قصص من التاريخ، بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي ظهر منه (عشرون جزءًا) وغير تلك.

وفي التصوف مثلاً كتبت: التصوف الإسلامي وتراثه في الأدب، التصوف الإسلامي وظلاله في الأدب، التراث الروحي للتصوف الإسلامي في مصر، التراث الأدبي للتصوف الإسلامي.

وفي الحديث شرحت البخاري من عشرة أجزاء وألفت كتابًا بعنوان: «مأثورات نبوية». وفي التفسير كتبت الكثير مما لا يزال في أغلبه مخطوطًا.

وفي التراث حققت أكثر من مائة كتاب من بينها: شرح الإيضاح في البلاغة (٦ أجزاء)، الإيضاح في البلاغة (جزءان)، شرح مقامات الحريري الشريشي (٤ أجزاء)، إعجاز القرآن للباقلاني، قواعد الشعر لثعلب، البديع لابن المعتز، فحولة الشعراء للأصمعي، طبقات النحويين البصريين للسيرافي، شرح ابن عقيل (٣ أجزاء)، شرح الشذور، شرح القطر، تهذيب الأجرومية، تهذيب الأزهرية.

وفي النقد أخرجت نحو عشرة كتب وفي غير ذلك مما لا أستطيع ذكره. في هذه الإلمامة.

● من المعروف أنك تنظم الشعر، فهل نشرت لك دواوين، وما آخر مشاريعك العلمية؟

- دواويني المطبوعة تبلغ أربعة عشر ديوانًا منها: وحي العاطفة (١٩٣٦م) قدم له الأستاذ توفيق دياب، أحلام الشباب ١٩٤٩م، أحلام السراب (١٩٥٣م)، نغم من الخلد، ١٩٧٢م، صلوات على الضفاف، ١٩٨٢م، الديوان الإسلامي، أشواق الحياة، أغنيات من عبقر.. الخ.

أما المشروعات العلمية:

- طبع سلسلة تاريخ الأدب العربي متكاملة وفي حجم واحد وكذلك السلسلة الإسلامية والتاريخية.
- إخراج العديد من الكتب المخطوطة من تأليفي مما لم أنشره بعد.
- إخراج ديوان كامل يضم جميع شعري بعد أن أخرجت سيرة ذاتية لي في ثلاثة أجزاء بعنوان «مواكب الحياة».

● أرجو أن تعطينا فكرة واضحة عن الدور الذي تقوم به رابطة الأدب الحديث في الحركة الأدبية في مصر؟

- رابطة الأدب الحديث:

- أنشئت عام ١٩٢٩ باسم رابطة الأدب الجديد، وظلت ثلاث سنوات.
- من عام ١٩٣٢- ١٩٤٥ قامت جماعة أبولو وصارت رابطة الأدب الجديد جناحاً من أجنحتها، ورأسها د. أحمد زكي أبوشادي.
- من عام ١٩٤٥ - ١٩٥٣ صار اسمها رابطة الأدباء ورأسها د. إبراهيم ناجي.
- عام ١٩٥٣ غير الاسم إلى رابطة الأدب الحديث ورأسها شقيق ناجي الشاعر، وهو الأستاذ محمد ناجي.
- ثم توليت أمرها من عام ١٩٨٣.

وقد تركت رابطة الأدب الحديث أثرها الواضح على الحركة الأدبية في مصر، ويكفي أن كثيرًا من الأعلام المشهورة في الأدب خرجت من أروقتها: الشاعر صلاح عبدالصبور، الشاعر الدكتور كمال نشأت، الشاعر هادي الخفاجي، الشاعر فوزي العنتيل، الشاعر كيلاني سند، الشاعر سعد دعبيس، الشاعرة جليلة رضا، الدكتور طالب الخفاجي.

ومن أعلام الرابطة: د. مدحت خفاجي، الشاعرة جميلة العلايلي، الشاعر مصطفى السحرتي، الشاعر د. مختار الوكيل، الشاعر الأستاذ محمد الغبان، الشاعر عامر بحيري، الأستاذ رمضان خفاجي المحامي، الشاعر حسن الصيرفي، الأستاذ الأديب العراقي خضر الولي.

ومن صفوفها خرج: الأستاذ الأديب رضوان إبراهيم، الأستاذ محمد ناجي، الأستاذ وديع فلسطين، الدكتور مجاهد مصطفى بهجت

وأعلام كثيرون لا نستطيع حصرهم، ومن أعضائها اليوم كثير من أدباء العالم العربي وكثير من أساتذة الجامعات وأعلام الشعراء في مصر والعالم العربي. وأعضاؤها في العالم العربي كثيرون جدًا، ومن بينهم: الملكة السابقة دينا عبدالحميد، الدكتورة نورية الرومي، الأستاذ روكس العزيزي، الأستاذ هلال ناجي، الأستاذ أبوالقاسم كرو، الأستاذ سلمان هادي الطعمة، الأستاذ عبدالله عبدالجبار، الأستاذ مبارك المغربي رئيس المجلس القومي الأعلى للفنون والآداب في الخرطوم سابقًا، الدكتور الشريف عون وزير الأوقاف في السودان سابقًا، الدكتور حسن عباس صبحي، وأعلام كثيرون..

وندوات الرابطة، والمهرجانات الأدبية والمسابقات والجوائز الأدبية التي أقامتها لا حصر لها ومهمة الرابطة:

- نشر الثقافة الأدبية الواسعة.
- تشجيع الأدباء من الشباب ورعايته ماديًا وأدبيًا.
- نشر اهم إنتاج الأعضاء.
- إصدار مجلة أدبية.
- العمل من أجل نهضة أدبية حقيقية.
- جمع الأدباء العرب على الوحدة والتعاون والإخاء الفكري والأدبي والروحي.

● هل للرابطة مطبوعات، وهل تكتفي بطبع نتاج الأدباء المصريين وغيرهم؟

– منذ قيام الرابطة حتى اليوم أصدرت أكثر من مائة كتاب. وأصدرت عام ١٩٥٥م و١٩٥٦م مجلة ثم توقفت للعجز المالي. وأصدرت سلسلة أدبية باسم البعث خرج منها عدة كتب ثم توقفت للعجز المالي أيضًا، ونشرت الرابطة للأعضاء العرب: عدة دواوين للشاعر محمود شوقي الأيوبي، حصاد القلم لأبي القاسم كرو، شاعر الإنسانية للأستاذ روكس العزيزي، عودة الغرباء للشاعر هارون هاشم رشيد، مطلع الشتاء (ديوان شعر) للشاعر إلياس فرحات.

وأصدرت كتبًا ضخامًا وكثيرة من الصعب ذكر أسمائها هنا.

● هل العضوية في رابطة الأدباء قاصرة على الأدباء المصريين دون غيرهم؟

- الرابطة عضويتها مفتوحة لجميع الأدباء العرب بلا استثناء، وهذه الرابطة هي وحيدة في ذلك، إذ تطلق عضويتها لكل أديب عربي، ومن أعضاء الرابطة أدباء من (السعودية، الكويت، العراق، الأردن، لبنان، سورية، الجزائر، المغرب، تونس، ليبيا، والسودان وهم عدد كبير).

● نعرف أنه كانت للشاعر محمود شوقي الأيوبي علاقة وثيقة برابطة الأدب الحديث، نريد أن نعرف منك شيئًا عن بداية هذه الصلة بين الأيوبي والرابطة؟

- كان الشاعر محمود شوقي الأيوبي تنشر له قصائد جميلة مؤثرة في مجلة البعثة الكويتية الشهرية ومجلة صوت البحرين الشهرية كذلك، وكنت أقرأ له ما ينشر من شعره.

ولم ألبث أن عرفت من صديقي الشاعر الكويتي الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري أن الأيوبي خاله، ثم عرفت أن الأستاذ عبدالله زكريا يطبع ديوانه «الموازين» في القاهرة ولم يلبث الديوان أن صدر وأهداني الأستاذ عبدالله نسخة لي ونسخًا لبعض أعضاء رابطة الأدب الحديث... وبدأت من ثم صلتي الوثقى بالشاعر واختير عضوًا في الرابطة، ثم كان يرسل لي رسائل وقصائد شعرية عليها مسحة الألم والحزن فأخبرته بأننا وافقنا على طبع دواوينه (رحيق الأرواح) و(هاتف من الصحراء) و(الأشواق) على نفقة الرابطة.

وكان ذلك حقيقة ولم تلبث الدواوين أن صدرت ويومها كان تأثر الأيوبي بذلك الصنيع كبيرًا.

وكان يرسل لي كل أسبوع خطابين مطولين فيهما من نثره وشعره ما يصور ألمه وأحزانه وأشواقه وظل هكذا إلى أن توفاه الله إلى رحمته.

وكان الشاعر عبدالله زكريا الأنصاري قد انتقل من سفارة الكويت في القاهرة إلى وطنه الكويت، وظلت رسائل الأيوبي لي لا تنقطع ثم علمت بوفاته، فكان لذلك رنة حزن وألم في نفسي ونفوس جميع أحبابنا وزملائنا في الرابطة.. رحمه الله.

● يعتبر الأزهر الشريف من أقدم الجامعات في العالم، وله دورة عظيم في الحياة الفكرية والدينية في مصر والعالم الإسلامي، أرجو أن تعطينا فكرة واضحة عن هذا الدور؟

– الأزهر هو بيئتي العلمية، كتبت عنه عام ١٩٥٣م كتابًا من ثلاثة أجزاء بعنوان «الأزهر في ألف عام» لا يزال مصدرًا لكل الباحثين، وبخاصة المستشرقين وقد أعيد طبعه في بيروت منذ عام.

ودور الأزهر الجامعي والعلمي والأدبي واللغوي دور كبير، فضلاً عن دوره الإسلامي الضخم في خدمة العالم الإسلامي كافة، وقد أعلن الشيخ الدردير المتوفى عام (١٢٠١هـ) ميثاقًا بحقوق الإنسان قبل الثورة الفرنسية بسنوات وأكد هذا الميثاق ميثاقًا آخر أصدره الشيخ عبدالله الشرقاوي شيخ الأزهر في عهد الحملة الفرنسية.

ودور الأزهر في ثورة عرابي وثور ١٩١٩م وثورة ١٩٥٢م دور بارز وإن حاولت السياسة دائمًا إخفاء هذا الدور.

****

«العمل» تحاور المفكر العربي: الدكتور الخفاجي(*)

أجرى الحديث الصحفي: الشاذلي باشا

الحياة بدون الفكر ماذا تعني.. إنها لا تعني شيئًا على الإطلاق.. قالها المفكر العربي الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي العميد والأستاذ بجامعة الأزهر ورئيس رابطة الأدب الحديث بالقاهرة وعضو العديد من المؤسسات والنوادي الفكرية والثقافية الشهيرة.. قالها لنا خلال حوار ممتع أجريناه معه بمناسبة وجوده بيننا هذه الأيام بدعوة من وزارة الشؤون الثقافية.

الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي مفكر وأديب هو الآن في سن السبعين ألَّف (٥٠٠) كتاب منها عشرة دواوين شعرية في مختلف الألوان الأدبية من دراسة وتحقيق ونقد وغيره وما زال الدكتور خفاجي في أوج العطاء وقد عرَّفنا على العديد من الإنتاجات الأدبية الفكرية التي هو بصدد إعدادها أو التحضير لها.

التواضع والابتسامة مع العمق في التفكير من أهم مميزات محدثنا وهو يتذكر أيام الشباب عندما كان يتردد على مكتب تحرير المغرب العربي بالقاهرة في الأربعينيات عند وجود الزعيم الشاب الحبيب بورقيبة بالقاهرة مناضلاً عن القضية التونسية، وعندما كانت تنظم مؤتمرات في الجامعة والأزهر، ومظاهرات للاحتجاج على الاحتلال الفرنسي.

يتذكر الدكتور أيضًا مراسلاته وكتاباته التي كان ينشرها في جريدتنا في الخمسينيات.. ويتذكر أيضًا ما قام به للتعريف بالأدب التونسي، وخاصة بالشابي الذي ألف عنه كتابًا سينشر قريبًا..

منذ بداية هذا القرن اهتم الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي بالأدب التونسي، ولا يزال إلى حد الآن حيث أشرف على رسالة أخرى حول أدب الأستاذ محمد مزالي، كما يؤلف حاليًا كتابًا عن الرؤية الإبداعية في أدب مزالي..

(*) عن صحيفة العمل التونسية. الأربعاء ٢١ مارس ١٩٨٤.

في لقاء جمعتنا فيه صدفة حدثنا وحاورنا الدكتور خفاجي عن أدبه وفكره، وعن مساهمته المتواصلة في التعريف بالأدب التونسي، حيث ستنظم رابطة الأدب الحديث التي يرأسها مهرجانًا خاصًا بالشابي هذه السنة بمناسبة الاحتفال بذكرى وفاته الخمسين.

● **دكتور خفاجي: كيف تنزلون الفكر في حياتنا اليوم وما هو الدور الذي يجب أن يلعبه المفكر لبناء المجتمع الفاضل والمستقبل الباسم؟**

– الفكر هو الذي يقود إلى الحياة الإنسانية وحضارة العالم، والحضارة العالمية دائمًا مردها إلى أفكار رواد الفكر على مختلف العصور فهم الذين يصوغون كل التطورات التي تعيشها، والحياة بدون الفكر ماذا تعني؟ لا شيء على الإطلاق..

إن النهضة الحضارية القديمة مدينة لأفكار المفكرين القدماء، والحضارة الإسلامية هي كذلك نبع لأفكار المفكرين الذين عاشوا مجتمعهم وحياتهم وواقعهم في مختلف نزعاتهم، إن الفكر هو كل شيء في حياة الإنسان.

وإذا كانت مكانة المنهج العلمي الذي كان «ديكارت» من أعلامه قد أثر في الحياة الحضارية للإنسان فإن هذا المنهج هو أيضًا دعوة لمفكر تونسي كبير سبق ديكارت وهو العلامة ابن خلدون الذي كتب في مقدمته فصولاً جديدة، وضع لأول مرة في تاريخ الفكر العالمي علم الاجتماع في أوروبا، وقد خصصت له ضمن مؤلفاتي كتابًا سميته (ابن خلدون في الأزهر) وقد راودتني فكرة مواصلة الكتابة عنه، وإني بصدد تأليف كتاب آخر عن ابن خلدون المفكر الإسلامي الشهير..

● **الالتزام .. ماذا يعني لديكم؟**

– الالتزام إما التزام واقعي جماعي يدين بالواقعية المادية، وإما التزام فكري يدين بحرية الإنسان وكرامته وحقوقه التي أقرتها الأديان، وأقرتها المواثيق الدولية.

أنا لا أعني الالتزام المادي الذي يجعل من الإنسان آلة مسخرة في يد فكر واحد ودكتاتورية متحكمة، ولكني أعني التزام الإنسان بكل قضايا الإنسانية النبيلة الشريفة التي يكافح الإنسان من أجلها على مختلف العصور.

والتزام الإنسان بقضايا مجتمعه ووطنه وقضايا الإنسانية عامة هو أهم رسالة له في الحياة لكي يكون خليفة الله في الأرض يمثل دوره فيها من أجل خدمة الحياة نفسها.

● ماذا يمكن أن تقولوا عن الحركة الأدبية في تونس؟

- لا شك أن الأدب التونسي في مجال القصة والشعر والقصة القصيرة أصبح يضاهي أعظم الآداب العربية والعالمية المتقدمة، وقد يكون في مجال النقد والمسرحية والأدب المسرحي متريثًا بعض الشيء ومقبلاً على تطورات أضخم مع أن حياتنا الحضارية، وهي حياة السرعة قد قللت من الإنتاج الفكري الذي يحتاج إلى وقت طويل كالأعمال المسرحية والأعمال والنظرية النقدية البانية.

● أنتم حاليًا بصدد تأليف كتابين عن الأدب التونسي أحدهما عن الأستاذ المفكر محمد مزالي، والثاني عن شاعرنا النابغة أبي القاسم الشابي، متى كانت بداية اطلاعكم على الأدب التونسي وما هو الدور الذي قمتم به للمساهمة في التعريف به؟.

- إنني من جيل الشيوخ الذين عاشوا القرن العشرين بكل أحداثه وكل تطوراته في شتى جوانبه، وعاشوا مختلف التيارات الوطنية والقومية والفكرية والأدبية التي مثلت دورها على مسرح القرن العشرين، واتصلت بالحياة الأدبية في أنحاء العالم العربي وفي مدارس المهجريين، وطفت بالعالم الإسلامي من الهند إلى المغرب، وتوليت كثيرًا من الأعمال العلمية والمناصب الجامعية وتخرجت على يدي أجيال من الشباب العربي والإسلامي ممن صعدوا إلى مرتبة الدكتوراه وتولوا مختلف الأعمال في بلدانهم.

وقد ألفت كتابًا هذا العام «مواكب الحياة» وهو في ثلاثة أجزاء، رويت فيه ذكريات طويلة لتجارب أطول قد تكون مريرة وقد تكون باسمة ولكنها صور من حياة إنسان عاش القرن العشرين.

وإذا عدت للذكريات فإني تعرفت على الأدب التونسي وأنا أستاذ في الأزهر في الثلاثينيات، وكنت أول من أسهم في التعريف بالشاعر أبي القاسم الشابي في مصر، الذي كان يرسل قصائده إلى زكي أبوشادي لينشرها بمجلة «أبولُو» وبما أن خطه

«المغربي» كانت تصعب قراءته فإني طلبت من أحد تلامذتي من المغرب بإعادة كتابة قصائد الشابي وتسليمها للمجلة وكانت أولى هذه القصائد: «صلوات في هيكل الحب» و«تونس الجميلة».

وقد ألّفت مع الأستاذين الدكتور عبدالعزيز شرف الأستاذ بكلية الإعلام بالقاهرة والأديب التونسي رشيد الذوادي كتابًا عن الشابي سميناه «أبوالقاسم الشابي ومدرسة أبولو» وذلك بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخمسين لوفاة الشابي، وسينشر قريبًا في تونس.

وبالمناسبة، أضيف، أننا سنقيم هذه السنة في رابطة الأدب الحديث بالقاهرة مهرجانًا ندعو إليه أدباء العالم العربي لنحتفل بالذكرى الخمسين لوفاة الشابي الذي عاش حياته الشعرية في ظل مدرسة أبولو الشعرية التي كان يرأسها الأديب زكي أبوشادي، ثم تولاها أمير الشعراء أحمد شوقي قبيل وفاته بقليل، ثم ترأسها الأديب خليل مطران.

وقد خصصنا في الرابطة جوائز للنقد والشعر والدراسات من أدب العالم العربي، وبالطبع من تونس بمناسبة هذا المهرجان على غرار الجوائز التي خصصناها في السنة الماضية عندما احتفلنا في الرابطة بذكرى وفاة أحمد شوقي وحافظ إبراهيم.

وأريد أن أضيف في مجال التعريف بالأدب التونسي أنني اشتركت في أعمال كثيرة عن الأدب التونسي سواء فيما يخص الشابي أو أبوالقاسم محمد كرو وغيرهما.

وكتبت في الخمسينيات مقالات بجريدة «العمل التونسية» في مرحلة النضال الوطني العظيم للشعب التونسي من أجل الحرية والاستقلال.

وأشرفت منذ مدة على رسالة دكتوراه دولة عن الشيخ محمد الخضر حسين التونسي الذي تولى مشيخة الأزهر الشريف، وهي بصدد الطبع حاليًا بالمملكة العربية السعودية، وأشرف حاليًا على رسالة دكتوراه دولة أعدها طالب مغربي عن أدب الأستاذ محمد مزالي.

ولي أنا والأستاذ الدكتور عبدالعزيز شرف والأديب رشيد الذوادي كتاب عن أدب مزالي، ومحمد مزالي هو صورة رائعة للأدب التونسي المعاصر إن لم نقلْ للفكر المعاصر

في أغلب تياراته واتجاهاته. ومن أجل ذلك وتعريفًا بالأدب التونسي الذي نقوم به في رابطة الأدب الحديث بكل إمكانياتنا، رأينا أن نضع كتابًا عن فكر وأدب مزالي باعتباره صورة واضحة للأدب التونسي وتياراته.

• كتبتم في النقد الأدبي، وقمتم بدراسات وأعمال مجمعية وتاريخيه وتحقيقية ونظمتم كذلك الشعر.. لو تعطونا في البداية نظرتكم إلى القصيدة الشعرية ومفهومكم للتجديد والمعاصرة؟.

– مع التزامي في شعري بالشكل العمودي ودعوتي إليه وإيماني بأنه أنسب الأشكال للقصيدة الغنائية، أي للشعر الغنائي الذي يقابل الشعر القصصي والملحمي، والذي نريده هو الشاعرية المبدعة التي تتحدث إلى الناس عن تجاربها الذاتية العميقة بروح الشعر والشاعر.

المهم أن يكون ما يكتب شعرًا مؤثرًا وقادرًا على إعطاء الجماهير المتذوقة كل حاجياتهم إلى المتعة والعاطفة، والخيال الشعري.

الشعر هو الشعر، قد يتمثل في قصيدة واحدة للشاعر، إبداع الشاعر الحقيقي الذي نعجب به ونهتف له، وبالطبع الكثير من شعراء الشكل الجديد قد نظموا في الشعر العمودي، والكثير منهم أجاد في الشكلين، وأنا أقول أن البدء بالتراث وبالشعر العمودي وبالقصيدة الشعرية الموسيقية ذات النغم الجميل هو ضرورة لكي يكون للشاعر قراؤه وجماهيره.

ولا بأس على الشاعر أن ينظم في الشكل الجديد بشرط المحافظة على الموسيقى، فنزار قباني في موسيقاه الحلوة وعذوبة النغم لا يمكن أن يجحد شاعريته إنسان وأستطيع أن أقول إن الموسيقى والقصة للشعر هما جناحا الشاعر المبدع، فالشابي كان مثلاً فيما ينشر له من قصائد في مجلة أبولو يملك زمام إعجاب الجماهير بحلاوة موسيقاه وبروح القصة في شعره، وكذلك إيليا أبوماضي وأمير الشعراء أحمد شوقي.

● من مؤلفاتكم عشرة دواوين شعرية، هل لكم أن توضحوا لنا أهم الألوان والقضايا التي تناولتموها في قصائدكم؟

- لقد كتبت في الشعر الغنائي الذاتي، والشعر القصصي، والشعر الإسلامي، والوطني، وكتبت كذلك مسرحية شعرية «نشيد الصحراء» تصور قصة حب عذري رومانسي في العصر الأموي لشاعر قديم من أسرتنا «الخفاجيين» وهو توبة الخفاجي مع ليلى الأخيلية الشاعرة. وهي قصة كانت مجهولة كتبتها في مسرحية شعرية، وهي الآن موضع التفكير لإخراجها في شريط سينمائي.

وفي رأيي أن الشاعر يستوحي دومًا من الكون والطبيعة والحياة، ومن مختلف تجاربه الذاتية والوجدانية، وطالما كان الشاعر يرى بعيني عصره فهو لا بد أن يتأثر بذلك، والشعر الوطني والإسلامي قد يكونان أبرز الجوانب في دواويني المختلفة، وهي لا شك ضرورة لواقع العصر الذي نعيشه، وإني حاليًا بصدد طبع ديوان في نحو (٥٠٠) صفحة بعنوان «أغاني الخلود» وسيصدر لي في الأيام القريبة ديوان في القاهرة «صلوات على الضفاف».

****

حوار صحفي(*)

الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي تخرج على يديه أجيال من الطلاب، وناقش وأشرف على أكثر من خمسين ومائتي (٢٥٠) رسالة ماجستير ودكتوراه وله العديد من المؤلفات في الأدب والنقد والشعر والبلاغة والتاريخ والإسلاميات تقرب في تعدادها من الخمسمائة مؤلف، والدكتور خفاجي يجمع بين الأصالة والمعاصرة في أعماله.

والدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي يعد من أقدر الكتاب المصريين في تاريخ الأدب العربي الحديث، إنه قوة ثقافية نادرة.. مفكر ومجدد موهوب وهو مؤمن بفكرته مخلص لرسالته.

لذا فقد كان لنا معه هذا اللقاء حول الفرق بين الشاعر والأديب ومدرسته الأدبية ورأيه في الشعر الغربي، وموقفه من التراث العربي ووجهة نظرة في البنائية، وما هو منهجة في النقد؟، وما هي وجهة نظره بالنسبة للصحافة؟، وموقفه ورأيه في الأدب العربي المعاصر، لكل هذا كان لنا معه هذا اللقاء..

● لماذا كانت هوايتكم الأدب؟

– يقول الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي سبب هوايتي للأدب أني عربي الأرومة والثقافة واللغة والدين وأسرتي لها تاريخها الطويل مع الأدب والشعر، وثقافتي الأدبية هي أول وأظهر ثقافاتي وحياتها كلها مع الأدب وفيها مواهب الأدب والأصالة ومن ملكات الطبع ومن حياة الأدباء الإصغاء إلى نداء العاطفة والخيال وعمق الشعور، ولي هوايات أخرى هي التعمق في الدراسات الإسلامية والفكر الإسلامي ودراسة التراث والتاريخ واللغة على امتداد العصور.

(*) حوار نشرته مجلة الحضارة عدد فبراير ١٩٨٨.

● هل هناك فرق بين الشاعر والأديب؟

– الشاعر إنسان ينظر إلى الحياة بعينه والأديب إنسان ينظر إليها بأعين الناس.

● ما هو موقفكم من القضايا الأدبية المعاصرة؟

– يقول الدكتور خفاجي: أعلن صراحة إفلاس الشعر الحر، وإفلاس نظريات الأدب الغربي، وأنادي بالرجوع إلى تراثنا الأدبي بكل قيمة الفكرية والأدبية، ولي مذهب في الشعر وهو بساطة الأسلوب والطلاقة مع الحرص على الموسيقى والحركة ووحدة التجربة.

● هل تقرأ الشعر الغربي المترجم؟

– يقول فولتير: الشعر الأجنبي لا يحمل إلا خصائص العقل الغربي والبيئة الغربية إنك تحس عند ألمع الكتاب المحدثين طابع وطنهم، إنهم يستمدون من التربة التي غذتهم الأذواق والألوان والصور المختلفة، إنك لتعرف الفرنسي والإنجليزي والإيطالي والإسباني من أسلوبه، كما تعرفه بملامح وجهه وأنا أقرأ الشعر الغربي المترجم ولا أستجيده.

● ماذا تقول لأدبائنا؟

– أقول لهم إن الأدب المعاصر صورة مشوهة للفكر الغربي وإن (٧٥٪) منه سوف يموت بموت أصحابه وأنه يجب أن تكون شخصيتنا العربية الإسلامية واضحة في أدبنا كل الوضوح.

● ما مدرستك الأدبية؟

– أنتمي إلى مدرسة الأصالة في الأدب والشعر والنقد حيث الاهتمام بالبلاغة والموهبة وحب التراث وتذوقه وتذوق القديم والحديث معًا، والصداقة مع كل المذاهب الأدبية الأخرى.

● ما أهمية التراث العلمي العربي لنا اليوم؟

– إحياء التراث العربي الإسلامي ضرورة من ضرورات الحياة والفكر، والتراث العلمي هو جزء من هذا التراث، ونهضتنا المعاصرة تحتاج إلى هذا التراث العلمي الذي

خلفه لنا الآباء ألم يكن هو سر نهضة أوروبا وحضارتها، ومن منا لا يعتز بأمثال الجاحظ والكندي والفارابي وابن خلدون وسواهم من علمائنا الخالدين؟ يقول برنال لقد تميز العلم العربي بالصدق والدقة والتجديد مما جعله مفضلاً على العلم الإغريقي .. ويقول أيضًا: لقد قرب العرب العلوم إلى الأذهان بطريقة فذة ما كان الإغريق أنفسهم قادرين عليها ولقد ترجم ابن أبي أصيبعة لنحو أربعمائة طبيب كلهم كتب وألف بالعربية، وكانت الجامعات الإسلامية منارة العلم والعلماء والعالم. ويقول بروتز مؤرخ الحروب الصليبية: إنه ليس في وسع العقل الأوروبي في عصور حضارة الإسلام أن يقدم مثالاً يفضل مؤلفات العرب، إن بعض الأوقاف الإسلامية كانت موجودة في فاس لعلاج الأمراض العقلية عن طريق الموسيقى حيث كانت تعزف ألحانها في مستشفى فرج بحي العطارين في فاس.

****

آخر جيل العمالقة(*)

د. محمد عبدالمنعم خفاجي

آخر جيل العمالقة أصحاب العقول والرؤى والعطاء الموسوعي.. مفكر مجدد، متمسك بجذوره منقب في كنوزها باحث عن جذور عروبته وثقافته الإسلامية، مخلص لرسالته الثقافية والعلمية.

شاعر أصيل غزير الإنتاج ثري المضامين.

وصفه الدكتور أحمد زكي أبوشادي بقوله: «.. ظاهرة ثقافية فذة شائقة في الوراثة والاطلاع والاستقراء والإنتاج».

وقال عنه المستشرق المجري المسلم الدكتور عبدالكريم جرمانومس «عرفت فيه الكفاح من أجل العيش والكفاح من أجل العمل الفكري... يرى أن العمل الثقافي يكمل بعضه البعض الآخر.. كتب في الدين وفي التاريخ والأدب والنقد والتصوف وكتب في التفسير والحديث وكتب في اللغة والنحو والبلاغ».

يلقبه البعض بـ «سيوطي عصره» نسبة إلى العلامة جلال الدين السيوطي، ويلقبه آخرون بـ «جاحظ زمانه» نسبة إلى الأديب والفيلسوف العربي الجاحظ.

● «شباب اليوم» القطرية التقت الشاعر والناقد والمؤرخ الأستاذ العميد محمد عبدالمنعم خفاجي وحاورته حول العديد من القضايا الأدبية والدروس التي يهديها آخر العمالقة لجيل الشباب.

– إن الشباب اليوم يجب أن يعي أن الحضارة الأوروبية وجميع ما وصلت إليه أوروبا هو ثمرة لجهاد وجهود علماء المسلمين، وعندما كانت أوروبا تتحاور في جوار تعلم

(*) جريدة شباب اليوم القطرية، عدد ١٩٩٣/٤/٢٩ – أجرى الحوار الأستاذ سيد زهران.

الكتابة والقراءة كان الخليفة الفاطمي العزيز بالله يرسل المبعوثين لشراء الكتب من كل مكان حتى كانت مكتبته تحتوي على أكثر من مليون ونصف المليون من المجلدات المخطوطة.

والحضارة الإسلامية حضارة تعرف معنى الحب والإنسانية والمشاركة والتعاون والعدالة الاجتماعية وتحترم حقوق الإنسان وتحافظ على القيم الإنسانية الرفيعة وتدعو إلى حق وخير ورحمة وأمان وسلام ورفاهية.

وإذ كان الغرب وحضارته قد فتن المسلمين عن دينهم وحضارتهم في الماضي، فإنه قد آن الأوان اليوم لكي نعود إلى الإسلام وحضارة الإسلام حتى تعود إلينا القوة والنهضة والسيادة.

وأقول لـ «شباب اليوم» إن كل ما وصل إليه العقل الأوروبي والغربي إنما كان ثمرة لجهاد وجهود العلماء المسلمين ونتيجة منطقية لحضارة الإسلام، والجديد والإبداع في حضارة اليوم هو من حضارة الإسلام التي تعتز بالمحافظة على القيم الدينية العالية.

● كيف تفسرون موقفكم من الشعر الجديد وأنتم من دعاة التجديد وتترأسون رابطة الأدب الحديث؟

– لا أؤمن بالشعر الجديد لأسباب كثيرة فهو لا يمثل المشاعر العربية ولا يمثل حركة الفكر والازدهار الفني في الشعر المعاصر وليس فيه الموسيقى التي تهز القلوب وتثير العواطف وليس له حظ من القافية وهو لا يقوم على أصالة أو إبداع فني إنما يرجع إلى محاولة للإفلات من قيود الشعر والشاعرية وهربًا منها.

ولا أجد في الشعر الجديد من إيجابيات إلا عند بعض الشعراء الأصلاء من أمثال نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وفدوى طوقان ونزار قباني.

ولا نستطيع أن نقول أن الشعر الجديد يمكن أن ينهض برسالة الشعر، ويهز وجدان الجماهير ويؤثر فيهم، ويمكننا القول بأن الشعر الحر مجرد تأملات فكرية يكتبها الأديب

بأسلوب أقرب إلى عاطفة الشاعر وإلى فكره، إلا أنه لا يأخذ شكل الشعر ولا يمثل قيمه الفنية، قد يحتوي على بعض الأفكار والمضامين القريبة إلى مضامين الشعر وأفكاره، إلا أنه لا يحمل روح الشعر وجوهره.

وليس الأمر بحاجة إلى تفسير من جانبي لموقفي الرافض للشعر الحر فالشعر هو الشعر.

● كيف تفسر التناقض بين أسماء ديوانيك «أحلام الشباب» و«أحلام السراب»؟

– في «أحلام الشباب» تحدثت كثيرًا عن تجاربي وأنا أخطو خطوات حياتي لبناء المستقبل، وبعد عشرين سنة أصدرت «أحلام السراب» صورت فيه صور الكفاح لإنسان يخطو دروب حياة طويلة مرهقة لا توصل إلى بصيص من نور بل قد تغلق النوافذ من دون هذا النور، فالإنسان عندما يخطو من الريف إلى المدينة يشعر أن كل شيء يحتاج إلى بناء جديد لأن مجتمع المدينه يخالف مجتمع القرية بأحلامه ووداعته.

● بماذا ينصح الأستاذ العميد جيل شباب الأدباء؟

– أنصح الشباب بأن يقرأوا أدب التراث قراءة جيدة حتى يكتسبوا اللغة وقوالبها ويعتادوا أساليبها وطرق تعبيرها وأدوات بناء الأسلوب، فإذا كانت هناك ضرورة للثقافة الأدبية العامة فإني أقول للشباب: إن هذه الثقافة العامة لا تغني عن الثقافة الخاصة بحال من الأحوال والثقافة تفتح الأبواب بين الإنسان وعصره، وتضع الأديب على أول الطريق، وتضع أمامه مفاتيح الأدب كلها وقد كان العقاد وهو تلميذ في الابتدائي يقرأ الأدب الإنجليزي ويترجم منه.

وأكرر نصيحتي إلى الشباب أن يقرأوا أدب التراث جيدًا «الجاحظ والتوحيدي وبديع الزمان الهمذاني والحريري.. وأن يصحبوا التراث طويلاً فالتراث هو الوسيلة للتفوق في الأدب والشعر واللغة، والقراءة في التراث هي قوة ملحوظة في اللغة والأدب ومن دون ذلك لن تجد الأديب الذي ترضى عنه وتؤثره على نظرائه.

أقرأوا كثيرًا أيها الشباب حتى تصبحوا أدباء حقيقيين.

● كيف يفسر الأستاذ العميد أزمة النقد الأدبي السائدة الآن؟

- صحيح أن النقد الأدبي يمر بأزمة، ومن أسباب هذه الأزمة أن جيل الأدباء المعاصرين عاش حياته في نطاق أزمات وأحداث عالمية.

وهناك سبب آخر يتمثل في انتقال الصحافة من صحافة رأي ومقال إلى صحافة خبر، فليس لدينا صحافة أدبية نشطة تستطيع أن تتجاوب مع إبداعات الأدباء والشعراء وتنشر أفكارهم وروائع إنتاجهم الفكرية والأدبية.

والسبب الثالث أن الكتاب الذي كان في الماضي وسيلة لتأكيد المناهج والمعارف النقدية وصلة مباشرة بين النقاد والقراء، أصبح الإقبال عليه ضعيفًا، والكميات التي تطبع منه محدودة مما يؤثر على مكانته كوسيلة اتصال.

يضاف إلى ذلك قلة المجلات الأدبية المتخصصة والتي تواجه خطر الإغلاق لعدم الرواج إذا وجدت!.

****

النقد والنقاد(*)

● كيف ننظر الآن إلى الشعر الجديد الحر، شعر الحداثة، وغيرهما؟

- ليس هناك شعر حر وشعر مقيد، فالشعر الأصيل هو الأدب، وما سواه من الشعر هو اللاأدب - ومن أسف - أن أنصار ورواد الشعر الحر - كما يسمونه - اختلفوا في تحديد بداياته التاريخية، ولم يتفقوا حتى الآن في تحديد مصطلح لهذا اللون من الشعر الذي ينافحون عنه، كما لم يتفقوا - بعد حول خصائصه الفنية ومضامينه!

وما كان سيكتب لهذا الشعر البقاء إلى هذا اليوم أو يجد له نقادًا ودارسين لولا ظهور مجموعة من النقاد المتعصبين لفلسفة الغرب وأدبه وشعره والتمجيد على من أغرقوا في غيبية (إليوت) برغم رجعيتها المتطرفة، إلى جانب انتشار الرموز في الشعر الحر بشكل واضح حتى تكاد تغرق في ضباب ميتافيزيقي عدمي، ليس وراءه إلا رغبة في إرضاء ناقد.

● هناك من يقول إن «الشعر الحر» تميز عن الشعر العمودي بالبعد عن الخطابية، إلى جانب انتشاره الجماهيري؟

- أي خطابية التي يزعمونها في الشعر العمودي.. أين هي في شعر أبي نواس والمتنبي وأبي العلاء المعري، وامرئ القيس، وعلي محمود طه، وناجي، وأبي ماضي، ومطران، وأبي القاسمَ الشابي، ومحمود حسن إسماعيل، وغيرهم.. إن أشعار هؤلاء - بمثابة - لقاء روحي بين الشاعر والطبيعة، وجاء فيها بناء المضمون عن طريق اللمحات التصويرية، والبناء الدرامي في أعلى درجاته الفنية.. ولا أدري كيف يسمح بعض النقاد

(*) حوار للخفاجي مع مجلة الجيل السعودية عدد ١٦/٤/٢٠٠١م

لأنفسهم هذه الأيام بإطلاق النظريات وتعميمها بكثرة مذهلة دون استقراء منطق الحاضر ولا منطق الماضي!!

هل يستطيع دعاة الشعر الحر من أولهم إلى آخرهم أن يأتوا بقصيدة واحدة من قصائد ابن الرومي أو أبي نواس أو المتنبي.. أما أن هؤلاء يختارون من الشعر العمودي نماذج تقريرية نظرية، ويعممون هذا النموذج أو ذاك على تراث ستة عشر قرنًا من الزمان، فليس هذا معقولاً.

● باعتبارك من أصدقاء الأستاذ العقاد - ترى ما هي الخصال التي تميز بها عن الآخرين، والتي أهلته إلى هذه المكانة المرموقة في عالم الفكر والأدب؟

- في الحقيقة، إن الأستاذ عباس العقاد، اجتمعت فيه مزايا كثيرة منها الوراثي، ومنها الفطري، ومنها المكتسب، فقد ورث عن أبيه الجد والوقار ومحاسبة النفس، وورث عنه وعن أمه نزعة دينية استكنت في ضميره وسلوكه، إذ كانا شديدي الإيمان، كما ورث عنهما محبة النظام، لذا كان حريصًا على الدقه في مواعيد الصلاة ومواعيد وجبات الطعام، وكذلك سائر حياته الفكرية والمعيشية، فهو يستيقظ قبل الخامسة صباحًا، ويفطر في السابعة ويتصفح المجلات والصحف، حتى إذا كانت الساعة الثامنة انغمس في كتابة بعض مؤلفاته.

ومع نزوعه إلى الجد كان يفضي أحيانًا إلى الدعابة والفكاهة، ولعله لذلك صنف كتابه «جحا الضاحك المضحك» وكان كثيرًا ما يرسل النكت والفكاهات في ندوته. أي أنه مع ما يبدو على سيماه من صرامة الجد وخشونة الملمس كان إنساني النزعة، وهي نزعة جعلته يمقت ضراوة المستعمرين مستشعرًا حقوق الشعوب المهضومة، كما جعلته يتعاطف مع آله ويبرهم ويكرم زواره وصحبه.

وستظل سيرة العقاد وتراثه الضخم في عالمي النثر والشعر خالدة على الزمان، تقرؤها الأجيال المعاصرة والقادمة وتسيغها متمثلة فيها صورة حية نابضة من صور عبقريتنا العربية الحديثة.

****

كتابات عن الخفاجي

الخفاجي.. وتونس(*)

رشيد الذوادي - تونس

١ - الخفاجي هو ذلك الأديب والكاتب الكبير الذي تحدث في أكثر من كتاب عن أصدقائه وذكرياته.. وذكريات العالم الجليل تثير فينا الغيرة والحماس المفرط: الحماس لعزة وطنه الكبير، والحماس لدراسة التراث لتزداد اعتزازًا بالفكرة والمعرفة، والحماس لقضايا الفكر، والأصالة.

فالخفاجي (العالم الموسوعي) والذي وضعت عنه العديد من الدراسات الجامعية[١] وبلغت مؤلفاته خمسمائة كتاب مطبوع بين (التحقيق والدراسة والإبداع)[٢]، وعاش للكتابة والقلم، وللرأي الحر، ووفق في الدعوة إلى المناهج الإسلامية في الثقافة، وكتب عن الإسلام بمناهج جديدة، واكتشف المحاولات الأجنبية القديمة والحديثة والمعاصرة الرامية إلى هدم تراثنا.. قلنا: إن (الخفاجي)، بهذا الثقل، روى لنا في أكثر من مناسبة عن الكثير من ذكرياته بأمانة وصدق.

قصَّ علينا في مجلة (الهلال)[٣] شوقه الشديد وهو طالب في (الزقازيق) إلى قريته (تلبانة).. يقول عن حياته هناك: إنه يشعر بالغربة، فأين قريته بأهلها وبيوتها؟.. إنها غربة (في الفكر)، وغربة (في المكان) أيضًا!.. وكل هذا في سبيل إرضاء رغبة أمه.. التي تريده من (رجال الأزهر)، ويستخلف والدها، ورغبة أمه بالنسبة له يجب تلبيتها، ويشير إلى تلك الأيام قائلاً:

(*) رشيد الذوادي: الخفاجي أديبًا وناقدًا، ص ١٩.

(١) من أهم الدراسات الصادرة عنه:

- الخفاجي شاعرًا: (رسالة ماجستير): محمد أحمد إبراهيم العربي - كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر - القاهرة.
- الخفاجي ناقدًا: (رسالة ماجستير): واصل حسن عبدالرحمن - كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بإيتاي البارود.
- الخفاجي وأثره في البلاغة العربية (رسالة ماجستير): عبدالناصر قناوي - كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بأسيوط.

(٢) من مواكب الأيام: خفاجي - ط القاهرة ١٩٩٥م - ص ٨.

(٣) راجع مجلة (الهلال) عدد نوفمبر ١٩٩٥م.

«ومن يومئذٍ.. من يوم أن عشت الغربة طفلاً منذ بدء حياتي التعليمية إلى أن تخرجت.. بل إلى اليوم، وأنا أحيا حياة طالب علم نهم، لا يرى الدنيا إلا كتابًا ويراعًا وورقًا..»[1].

و(الخفاجي) بدءًا من هذا التاريخ – وكما قص علينا – بدأ بحثه الموصول في مصادر الثقافة الإسلامية التي اهتمت بـ (الأعلام) وبـ (المناهج) وبالحفر في ذكريات الماضي، وبكل ما يتعلق بسير الأبطال والعظماء والأدباء في كامل أجزاء الوطن العربي، ومنها تونس.

٢ – والخفاجي عاشق تونس صفحاته مضيئة في هذا الجانب:

ومن كنوز الثقافة الاسلامية والعربية التي قرأها الخفاجي وتأثر بها مؤلفات الجاحظ، والتوحيدي، والجرجاني، وابن خلدون، وعبدالله أبي زيد القيرواني، والإمام سحنون، وكتب الطبقات، وسواها من المصادر الهامة.

ومشواره في البحث عن مصادر الثقافة الإسلامية التي اهتمت بالشعر والأدب في تونس بدأ مع تخرجه في كلية اللغة العربية بالأزهر عام ١٩٤٠م، حيث تابع الخفاجي سير مشاهير الفاتحين لأفريقيا كعبدالله بن الزبير، وعقبة بن نافع، وموسى بن نصير، والحسام بن ضرار، وتابع هذا المثقف المولع بالمعرفة حركة انتشار اللغة العربية بأفريقيا.

وبرغم اهتمام الخفاجي بالإمام الشافعي، إلا أنه عني عناية كاملة بمريدي الإمام مالك، وبتلميذه الإمام سحنون، وأسد بن الفرات، وعبدالله بن أبي زيد القيرواني، وغيرهم..

ودفعه عشقه لأفريقيا إلى التنويه، في كثير من مؤلفاته، برجالها من علماء، وفقهاء، ونقاد ومبدعين.

ومن هؤلاء: الحسن بن رشيق، وعبدالرحمن بن خلدون، والإمام ابن عرفة، وابن منظور. كما دفعه حبه لعبدالرحمن بن خلدون إلى زيارة الدار التي ولد فيها عند مجيئه إلى تونس لأول مرة سنة ١٩٨٤م، وصحبه في هذه الزيارة كاتب هذه الدراسة.

---

(١) من مواكب الأيام: خفاجي – ص ١٧٧.

وكانت شخصية عبدالرحمن بن خلدون من الشخصيات التي يعتز بها الخفاجي كثيرًا، لما تمثله من طموح.. ويرى في هذه الشخصية نمطًا فريدًا لطموح المثقف الواعي، ويكفيه فخرًا أنه مؤلف (المقدمة) و(كتاب العبر)، ويدفعه حماسه لهذه الشخصية الفذة إلى التحدث عنها بإسهاب في (الأزهر) و(رابطة الأدب الحديث بالقاهرة)، ويرى الخفاجي أن ابن خلدون لم ينصف الإنصاف الكامل. وهو يكتب فصول كتاب جديد له عن (ابن خلدون في الأزهر).

٣ – وإذا ما كان الجاحظ يذهب إلى أن الأدب هو الأخذ من كل شيء بطرف، فإن جان بول سارتر ينظر إلى الأدب على أنه كشف للإنسان والعالم. وهاتان المقولتان أعارهما (خفاجي الأديب) كل اهتماماته، حينما حفر في الذاكرة الشعبية، وحقق في التراث، وكتب فيما يهم الإنسان، ونشط في الكتابة عن أدباء المشرق والمغرب العربي.

وقلم الخفاجي كان لا يتوقف أبدًا عن البحث، فقد ساهم به في التعريف بدور الأدب ومدارسه واتجاهاته، وساهم به في الحاضر وفي الماضي، وجنده في التعريف بأعلام الأدب والفكر هنا وهناك. وأخذ ينحت بقلمه مستقبل الإنسان أيضًا.. ولا غرو في ذلك فقد روضه على المطالبة بحرية التعبير، وعلى إبراز التعقيدات والتناقضات، وعلى سبر أغوار النفس وعلى استشراف المستقبل.. ومن كل هذه السياقات الفكرية اختار الخفاجي (ابن المعتز) ليقدم شخصيته في رؤية جديدة، وقدم أيضًا أبا شادي والشابي وخليل مردم ومصطفى السحرتي والبشير بن سلامة ورشيد النوادي وغيرهم.

فالخفاجي لم يكن في حاجة لكي يسأل من هم الكتاب التونسيون الذين يستحقون أن يكتب عنهم، لأن هذا الكاتب لا ينطلق فكره من إيديولوجية معينة لكي يكتب، وإنما تسير طموحاته دائمًا وفق إخلاص الكاتب لرسالته وفكره.. فهذه هي الطريق الصائبة لفرض الذات كما يرى دائمًا.

وكان حريصا على الاطلاع على التراث ومن بينه تراث التونسيين والمغاربة وأهل الأندلس. وسعى لتكون تونس وطنه الثاني، لذلك حرص على أن تكون همومها هي همومه، لذلك لا تعجب لوقفته الشجاعة عامي ٥٢ و١٩٥٣م حينما قاد المظاهرات الطلابية في القاهرة، وسجل بذلك وقفة الأزهر مع نضالات التونسيين.

والخفاجي - كما روى لنا - كان ملماً بتيارات الفكر في (أفريقيا)، وعارفًا بنشاطات مشائخ جامع الزيتونية، ومطلعًا على أهم مصادر وأخبار تاريخ (أفريقيا وتونس): (المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس)[١] لابن أبي دينار المتوفى عام ١٦٩١م، و(الحلل السندسية في الأخبار التونسية) للوزير السراج: (ت ١٧٣٦م)[٢]، و(الجواهر السنية في شعراء الديار التونسية) لبيرم الرابع: (ت ١٨٦٤م) ومؤلفات كل من محمد الطاهر بن عاشور، وحسن حسني عبدالوهاب.

وهكذا نرى أن إشكاليات التعرف على الأدب والفكر التونسي القديم والمعاصر لم تشكل حاجزًا فيما رواه لنا لكي يزداد اقتناعًا بالكتابة عن أعلام الفكر والأدب في تونس، ويزيل عنا (عقدة الشرق). وهذه (العقدة) كما هو معروف لم تكن جديدة، فهي قديمة قدم التاريخ الفكري. يقول جلول عزونة في دراسته: (الأدب التونسي: واقعه وآفاقه) المنشورة في مجلة (المسار)[٣]: «وهذا الواقع ليس حديثًا، فقد تعرض إليه القدامى من أفارقة ومن أندلسيين.. يقول ابن بسام في هذا (ت ٥٤٢هـ):

«وأخذت نفسي بجمع ما وجدت من حسنات دهري، وتتبع محاسن أهل بلدي وعصري، غيرة لهذا الأفق الغريب أن تعود بُدوره أهلة، وتصبح بحاره ثمارًا مضمحلة، مع كثرة أدبائه، ووفور علمائه، وقديمًا ضيعوا العلم وأهله.. ويا رُبَّ محسن مات إحسانه قبله، وليت شعري من قَصَرِ العلم على بعض الزمان، وخصَّ أهل المشرق بالإحسان»[٤].

وهكذا كان اهتمام خفاجي بمآثر التونسيين وبأعلامهم في القديم والحديث.

---

(١) طبع هذا الكتاب لأول مرة عام ١٨٦٤م وكانت طبعته الثالثة عام ١٩٦٧م.
(٢) طبع بتونس سنة ١٩٧٣م.
(٣) (المسار) عدد ١٣، و١٤ (نوفمبر ١٩٩٢م).
(٤) الذخيرة: ابن بسام ج ١ ص ١٢.

ففي القديم، تناول الخفاجي في كتاباته عدة شخصيات من أفريقيا، منهم: الحسن بن رشيق، وأحمد الصواف، والإمام ابن عرفة، وأحمد التيفاشي، وعبدالرحمن بن خلدون، وابن منظور، وغيرهم.

وفي العصر الحديث، يتعرض الدكتور الخفاجي إلى قصته مع الأدب التونسي الحديث منذ بداية هذا القرن فيقول: «.. وإذا عدت للذكريات، فإنني تعرفت على الأدب التونسي وأنا في الأزهر في الثلاثينيات»[1].

٤ – وللخفاجي مع الشابي تاريخ طويل منذ الثلاثينيات:

فصلة الخفاجي بشعر الشابي قديمة حديثة من يوم أن بدأ هذا الكاتب يتلمس أصداء الشابي هنا وهناك.. وبدأ أبو القاسم يرسل ببواكير قصائده إلى أحمد زكي أبي شادي لينشرها بمجلة (أبوللو).. وهنا كانت (المحطة الثانية) التي جمعته بالشابي.. ويروي الخفاجي بعض أسرار هذه المرحلة فيقول في حوار له مع صحيفة (العمل) التونسية[٢]:

«.. وكنت أول من أسهم في التعريف بالشاعر أبي القاسم الشابي في مصر، الذي كان يرسل قصائده إلى زكي أبي شادي لينشرها بمجلة (أبوللو)، وبما أن خطه (المغربي) كان يصعب قراءته فإني طلبت من أحد أصدقائي من المغرب ليقوم بإعادة كتابة قصائد الشابي وتسليمها للمجلة وكانت أولى هذه القصائد: «صلوات في هيكل الحب»، و«تونس الجميلة».

ولم يكن اهتمامه بالشابي مقصورًا على تأليف كتاب أو إعداد بعض الدراسات عنه، إذ سبق له أن شارك بالقاهرة المعزية – وفي أيام الثورة التونسية – في إحياء ذكرى الشابي عام ١٩٥٤م، ومن الأدباء الذين تحدثوا في هذه الذكرى، نذكر: الشاعر عزيز أباظة، والمصلح الأديب البشير الإبراهيمي.

كما أشرف على مهرجان أدبي كبير بمناسبة (خمسينية الشابي بالقاهرة)، حيث نظمت (رابطة الأدب الحديث) بالقاهرة أسبوعًا من الندوات عن الشابي، بداية من

---

(١) د. زهران محمد جبر: صفحات من الفكر المعاصر – ص ٣٠٤.
(٢) صحيفة (العمل) بتاريخ ٢١ مارس ١٩٨٤: حوار أجراه الصحفي الكبير الشاذلي باشا.

٣/١٠/١٩٨٤م، وذلك بقاعة د. طه حسين بدار (نقابة الصحفيين بالقاهرة). وحضر المهرجان: د. السعدي فرهود رئيس جامعة الأزهر.. ووزع من ماله الخاص جوائز على الأدباء قدرت بـ ٢٥٠٠ جنيه مصري.

وتحدث في هذا الحفل: الخفاجي، وعبدالعزيز شرف، ووديع فلسطين.. وقدم رشيد النوادي بحثًا عن: (الشابي وجيل الثلاثينيات)، كما شارك فيه جلال العشري، وحسني سيد لبيب وغيرهم.

كما ألقيت قصائد عديدة في هذا المهرجان للشعراء: محمد عامر بحيري، وفاروق جويدة، ومختار الوكيل، وليعة عباس عمارة، وفتحي سعيد، ومحمد التهامي، وعلي هاشم رشيد، والدكتور عزت شندي، ومصطفى عبدالرحمن وصالح جودت وسواهم[1].

وأكبر جهد الخفاجي في هذه الذكرى كل من الأديبين الكبيرين: الاستاذ البشير بن سلامة وزير الشؤون الثقافية في تونس، آنذاك ود. عبدالحميد الشابي شقيق الشاعر أبي القاسم الشابي[2].

وكتب الخفاجي عن الشيخ محمد الخضر حسين، وأشرف أيضًا على رسالة دكتوراه عنه.

كما كتب مقدمة كتاب أبي القاسم كرو (حصاد القلم) في الخمسينيات.

وجهود الخفاجي في التعريف بالأدب التونسي الحديث لا يمكن نسيانها أو تجاهلها، وللخفاجي فضل كبير على الأدباء التونسيين، بدءًا بالشابي، والمسعدي، والمطوي، والبشير بن سلامة، والخضر حسين وغيرهم.. وقال صاحب هذه السطور مدافعًا عن الأديب الجليل ضد كاتب يجهل أيادي هذا الرجل الفاضل: «إن هذا الرجل عرف بالشابي في مصر، وأكرم وفادة محمد الخضر حسين، وأن الأساتذة: رابح لطفي جمعة، ووديع فلسطين، ود. عبدالعزيز شرف، وحسني لبيب، كتبوا العديد من الدراسات

---

(١) انظر صحيفة (عكاظ) السعودية بتاريخ ٢٣/١٠/١٩٨٤، و(العمل) التونسية بتاريخ ٢٧/١/١٩٨٤، وكتاب (صحائف الذكرى): خفاجي – ط القاهرة ١٩٨٧ – ص ٢١٠/٢١٢.

(٢) راجع (من مواكب الأيام) – خفاجي – ص ١١٦ و١١٧.

عن الأدب التونسي وعن رموزه في عديد من الدوريات المصرية والتونسية والعربية.. وأن والد الأديب رابح لطفي جمعة فتح منزله في مصر للزعيم عبدالعزيز الثعالبي في وقت ندر فيه الوفاء».

كما كتب الخفاجي مقدمة لكتاب صاحب هذه السطور: (أدباء تونسيون) الصادر عن الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة عام ١٩٩٤م.

وفي موسوعته الأدبية الشهيرة التي درست في جامعة الأزهر، وفي الجزء الرابع من هذا الكتاب القيم دراسات عن:

- البشير بن سلامة: وقال عنه أنه صرف جزءًا من وقته في ترجمة بعض الكتب عن اللغة الفرنسية، ويرجع الفضل له في إقامة حوار فكري مستمر مع أدباء جيله، وفتح عدة ملفات أدبية[١]، كما نشر مقالات عنه في (الفكر) التونسية، كما كتب عن كتابيه: (اللغة العربية ومشاكل الكتابة)، و(نظرية التطعيم الإيقاعي)[٢].

- محمد العروسي المطوي: الذي تعرف عليه في القاهرة، وقال عن شعره: إنه يمثل المسيرة الوطنية، وعبر به عن مأساة الإنسان ونضالاته، كما أشار إلى رواياته: (حلمية)، و(التوت المر)، و(من الضحايا).... الخ[٣].

- رشيد الذوادي: وأشار إلى مؤلفاته، وقال عنه: إن هاجسه الأكبر هو (الكلمة المسؤولة)، ورؤيته لمسؤولية الكاتب واضحة عندما حددها في كتابه (إشارات أدبية)، وأشار إلى أسلوبه ووصفه بأنه شائق وطريف.

- نور الدين صمود: وأشار إلى أمسياته في مؤتمرات أدباء العرب، وإلى دواوينه، وكتبه الأخرى، وقال: إن من أهم مؤلفات هذا الشاعر: (زخارف عربية)[٤].

---

(١) راجع (الأدب العربي): د. خفاجي - ج ٤ - ص ٢٥٦/ ٢٥٨.
(٢) راجع ما كتبه الأديب حسني لبيب عن هذا الكتاب في (الفكر) التونسية عدد يوليو ١٩٨٥.
(٣) خفاجي: الأدب العربي - ج ٤ - ص ٢٥٩.
(٤) ارجع الى كتاب خفاجي (الأدب العربي) ج ٤ - ص ٢٦٥ - ٢٦٧.

– محمد الطاهر بن عاشور: وهو الكاتب اللغوي والديني الكبير، وإنه تعرف عليه عام ١٩٣٥م عندما زار القاهرة، حيث اجتمع به في رحاب الأزهر، وجمعية الشبان المسلمين، وجمعية الهداية الإسلامية، وأشار في كتابه إلى أن: «الإمام الطاهر كان إمامًا في الدين، ومفكرًا إسلامياً كبيرًا، يتتبع آثار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، كما كان أديبًا كبيرًا ترك وراءه آثارًا خالدة في الأدب والنقد تعد من أروع ما تركه لنا رواد هذا الجيل»[1]. كما تحدث في هذا الكتاب عن: محمود المسعدي، والحبيب الجنحاني، وأبي زيان السعدي، وعزالدين المدني، ورشاد الحمزاوي... الخ.

وفي النهاية، نستطيع أن نقول عن الخفاجي إنه مفخرة بحق في العالم العربي، فقد أفاد وأجاد، ورعى نتاجات الأدباء العرب في الكثير من الأقطار، ومتّن الصلات الودية بين الأدباء. وفضله على التونسيين كبير، حيث جند طاقته للدفاع عن أدباء تونس، وساعد على نشر إبداعاتهم، وعرف بالعديد من الأسماء في برنامج (مع النقاد) الذي يعده الأستاذ عادل النادي في الإذاعة المصرية، كما ألح على أدباء كبار من مصر، لكي يرعوا الأدب التونسي ويعرفوا به.. وبأعلامه البارزين.

****

(١) انظر الفصل كاملاً في المصدر السابق – ص ٢٦٨ – ٢٧٩.

الخفاجي العالم الموسوعي(*)

أ. د. محمد شوقي الفنجري
رئيس الجمعية الخيرية الإسلامية
وأستاذ الإقتصاد الإسلامي

(١)

في ٢٢ يوليو القادم يحتفل المفكرون والعلماء والأدباء بعيد ميلاد الخفاجي الرابع والثمانين ميلادياً، والسابع والثمانين هجرياً، إنه عمر مديد حافل بالعطاء لعالم موسوعي معاصر تجاوزت مؤلفاته الخمسمائة كتاب مطبوع، عدا كتب مخطوطة كثيرة لم تنشر بعد، وكتب فقدت في دور النشر العربي المختلفة في أنحاء الوطن العربي، وفي شتى مجالات الدين والفكر والتاريخ واللغة والفقه والتفسير والحديث والبلاغة والنقد والأدب والشعر والإبداع، بدءًا من تفسيره للقرآن الكريم (١٢ جزءًا – طبع عام ١٩٥٨ – ١٩٦٠)، ومن روائع مؤلفاته في السيرة النبوية، إلى تحقيق التراث والتجديد في علوم الدين واللغة والأدب، والى كفاح ثلاثة أرباع قرن كامل في التوعية والتعريف في مختلف العلوم والدراسات الإنسانية، وإلى مختلف مقالاته وبحوثه في الصحف والمجلات المصرية والعربية.

(٢)

ولقد صدرت عن حياته وعطائه الفكري كتب عديدة قد تقارب العشرين كتابًا، وهذا الكتاب – الذي يطالعه القارئ العربي في كل مكان من العالم الإسلامي – هو أحدها.. إلى رسائل جامعية صدرت عن الخفاجي وفكره وأدبه، للماجستير والدكتوراه، تصفه بجاحظ القرن العشرين، وبالسيوطي المعاصر..

وقد كرمته ندوة الإثنينية في جدة في نوفمبر من عام ١٩٩٦م تكريمًا بالغًا حد الروعة، اشترك فيه مفكرون سعوديون وسوريون ومصريون وغيرهم.

(*) حول القصر المسحور، ص ٦.

كما كرمه في القاهرة عام ١٩٩٧م نادي القصيد تكريمًا اشترك فيه رجال الدين والصحافة والإعلام والفكر والأدب.

(٣)

والخفاجي من مواليد المنصورة في العاشر من رمضان ١٣٣٣هـ الثاني والعشرين من يوليو ١٩١٥م، ومن كتاب القرية الذي حفظ فيه القرآن الكريم، إلى معهد الزقازيق الديني، الذي نال منه شهادة الثانوية، إلى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، التي نال منها الشهادة العالية عام ١٩٤٠م، ثم الدكتوراه عام ١٩٤٦م، إلى عمله العلمي في الكلية التي تخرج منها، مدرسًا، فاستاذًا مساعدًا فأستاذًا فرئيس قسم فعميدًا، من ذلك كله اتصل بالعلم والعلماء، وصار نموذجاً للعاشق للمعرفة وللثقافة وللتراث، ومثالاً للشخصية المتميزة بالعطاء الفكري الموسوعي.

(٤)

وقضى الخفاجي حياته قارئًا نهمًا، ومتعلما نابهًا، ومعلمًا له عطاؤه المتميز، وكاتبًا وأديبًا وشاعرًا ومفكرًا له شخصيته المتميزة، التي عرفتها مختلف دوائر العلم في العالم العربي والإسلامي، وتخرج على يديه أجيال من الأساتذة والحواريين والعلماء والطلاب، منتشرون في أنحاء العالم العربي والإسلامي، ويتباهون باعتزاز بإنتاجه العقلي، ويسعدون بعطائه الروحي.

ويذكر الخفاجي كيف غلبه البكاء، وهو يجلس حول عمود من عمد الأزهر القديم، يدرس لطلابه الفكر الإسلامي والبلاغة القرآنية وروائع الأدب القديم، يذكر ذلك لأن أمه كانت تدعو أن يهبها الله ابنًا يجلس حول عمود من عمد الأزهر ليعلم الطلاب، مثل والدها العالم الكبير الشيخ نافع الجوهري الخفاجي (١٨٣٩ – ١٩١٢م) والذي ترجم له الخفاجي في موسوعته (الأزهر في ألف عام – الجزء الثالث).

(٥)

وأول ما تلقاه من هذا العالم الموسوعي هو تواضعه، وحرصه على العلم والقراءة، حرصه على العمل في صمت، حتى لقد كتب عنه أحد الأعلام عام ١٩٦٣م مقالاً بعنوان: الخفاجي الذي يتمنى أن يموت وعلى صدره كتاب[١]، وإذا كان هذا التواضع وذلك الصمت قد حجبه عن أن يكون أشهر من كل معاصريه، وهو الجدير بذلك حقًا، فإن هذا الخلق الكريم يحسب له، لا عليه، فالشهرة ليست مقياسًا للمجد، وإنما المجد الحقيقي هو العطاء الصادق الذي يضيف إلى تراث هذه الأمة ما يجدد لها ثقافتها وحيويتها.

تحية اعتزاز وتقدير للأستاذ العلامة الموسوعي الخفاجي، أمد الله في عمره، ونفع به العروبة والإسلام والمسلمين.

****

(١) الجمهورية ١٣ مارس ١٩٦٣ - ٣٠ من صحائف الذكرى.

الخفاجي شاعراً(*)

الأستاذة وفيقة عواد سلامة

يشغل الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي مكانة بارزة، بين أساطين علمائنا الأعلام المعاصرين، الذين يتميزون، بعمق وشمول الثقافة، في شتى المناحي الدينية والأدبية، لاطلاعه الدائب على أمهات الكتب في العربية، وما ترجم إليها، من تصانيف فذة، في النقد والتراجم والسير، وكذلك لعطائه الجم الغزير، الذي يتجاوز الخمسمائة مؤلف، في شتى فنون الأدب والمعرفة، بأصالة واقتدار، ويأتي في مقدمتها: تفسيره لكتاب الله الكريم – عز وجل – في ثلاثة عشر جزءًا.. وهذا يبرر لنا المنزلة العالية الرفيعة، التي احتلها، في عقول وقلوب العديد من أساتذة الجامعات، وطلاب الدراسات العليا، التي يشرف على كثير من دراساتهم، التي يعدونها للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه، بألمعية وحسن توجيه، واقتدار ندر أن يدانيه فيه سواه، هذا بالإضافة إلى شاعريته الفذة المحلقة، التي أثمرت العديد من الدواوين الشعرية، حتى ليصعب علينا أن نتحدث عن تصانيفه المتنوعة، أيها نأخذ وأيها ندع لفرصة أخرى.. إلا أن مالا يدرك كله لا يترك جُلُّه. وقد صدر له سبعة عشر ديوانًا.

وفي سنة ١٩٩٠م حصل الباحث الأستاذ محمد أحمد إبراهيم العربي، على رسالة الماجستير، كان عنوانها (الخفاجي شاعرًا) وفي هذا ما يحفزني في هذا المقال، على التحدث عن أحد أبعاد الخفاجي، كشاعر مرموق بين شعرائنا المعاصرين، من خلال صفحات دواوينه العديدة.

وهذا العطاء الشعري الغزير يبرز بوضوح وجلاء، أن الخفاجي الشاعر، لا يقل شأنًا عن الخفاجي – الناثر الطاهر السريرة – المفعم الوجدان بحب سيد الأنام صلى الله عليه وسلم.

(*) مجلة الأزهر: عدد جمادى الأولى ١٤٢١هـ – أغسطس ٢٠٠٠م.

وتمتاز شاعريته بالطلاوة والتدفق في عمق، إلى وجدان القارئ المتذوق، دونما تعقيد لفظي، أو غموض في المعنى مع حلاوة الجرس ودقة الحس وسلاسة التعبير الذي ينم عن لطف روحه، واتقاد مشاعره وأحاسيسه، وأن لديه – حقاً – ما يقوله، بل ما لا يملك إلا أن يقوله.

ويروقنا في ديوانه الذي يحمل عنوان (أشواق الحياة)، تمكنه المذهل من فن الشعر برغم أنه المجال الثاني في ترتيب موهبته الفذة بعد المجال الأول الفني الرصين الذي يستقصي فيه أوابد المعاني وشوارد الأفكار.

ومهما يكن من أمر، لنستمع إليه وهو يحدثنا عن (إنسان القرآن). ويحق لشاعرنا أن يتوقف ويتعجب، لمرور الأيام في عمره المديد الخصب المثمرة كأطياف الأحلام فيقول:

وي لأمسي ولأيّامي وي
ولليلي ونهاري العبقري
المنى كلُّ المنى قد ذهبتْ
وتلاشتْ - بددًا - من راحَتَي

إلا أن حديث الذكريات الرائعة الحبيبة إلى نفسه، سرعان ما تستغرقه فلا يملك إلا أن يقول في نجواه لموئل العلم الأعظم: الأزهر الشريف، فيقول مناجيًا له بتوق وحنين:

في كلِّ ركنٍ من جوانبكَ العُلا
شمسٌ تضيء وكوكبٌ بك نَيِّرُ
حرمُ الكنانةِ قد حمَيتَ ذمارَها
ودفَعتَ عنها ما يُذِلُّ ويقهر

إلى أن يقول:

والدين لم ينشرْهُ إلا فتيَةٌ
نشاوا بروضك مونقًا وتبختروا

وغالبًا ما يمزج الحكم والدروس المستفادة، من خبرته المستفيضة، بالحياة والناس، بكل نوع من أنواع شعره، في أسلوب سلس رقيق، كقوله بقصيدته (الشهداء):

بطولتهم.. لكلِّ فتًى نشيدُ
ونكرُ فدائهم أبدًا جديدُ
ومجدُ جهادهم في الدهر باقٍ
يَضنُّ به على الدهر الخلودُ

وكم يذكرني بشهدائنا في مدينتي الباسلة (السويس) الذين ثووا في بقعة واحدة، خاصة بهم هم وحدهم فحسب، متميزين في رقدتهم عن سائر الموتى، لتظل ذكراهم عالقة بالأذهان.

كل ذلك أمثله أمامي واضحًا جليًاً في قول أستاذنا الدكتور الخفاجي بعد ذلك:

قبورهُمُ تفوحُ شذًا وعطرًا
ويُحيي ذكرَهُمْ برٌّ وجودُ
وفي البيداءِ تخشع من جلالٍ
ويخشعُ من جلالتِها الوجودُ
كسَا الشهداءُ تلك البيدَ مَجْدًا
تشيدُ بذكرِه أرضٌ وبيدُ

إلى أن يقول في هذه الخريدة المتفردة:

لمصرَ لمجدها، للشعب: ساروا
وفي فمهم أمانيها نشيدُ

ويقول:

وللشهداء عند الله فضلٌ
ويَعْذُبُ في ثنائهمُ القصيدُ
على الأبرار إخوتنا سلامٌ
وحسبُهُمُ الشهادةُ والخلودُ

ثم يحدثنا حديثًا عذبًا شهيًاً، عن ذكريات (يوم الميلاد)، فيشدنا إليه ويجعلنا معه، مشغوفين مأسورين بعصارة تجارب عمره المديد، حين يصوغها لنا شعرًا قويًاً، نابضًا بالحياة، فيقول:

بين ارضِ الريف الجميلة نُشئـ

ـتُ وشمتُ الحياةَ صحوًا وغيما

وحملتُ الأعباء طفلاً صغيرًا

وحسمتُ الأمور بالعزم حسما

وبنيتُ المستقبلَ الضخمَ صرحًا

ودعمتُ البناء وَحْديَ دعما

إلى أن يقول:

انا روحٌ تسير للعالم الأعـ

ـلَى وللمنهلِ المقدس نظما

سرتُ بين الأشجان احملُ قِيثـا

رًا من الشعر يشحذُ الصدرَ عَزْما

املأ النفسَ همةً ورجاءً

واصطبارًا على الخطوب وحُلْما

وهذه القصيدة تعد، في اعتقادي، أشبه ما تكون بسيرة ذاتية لأستاذنا الدكتور خفاجي، جاحظ العصر الحديث، بل هي وثيقة نفسية نادرة، نستقرئ منها مراحل إبداعه، وأداء رسالته العلمية الشامخة، ويدلنا على ذلك قوله في ختام القصيدة:

لا أبالي في المجد حمدًا وذمًا

وعتابًا ولستُ أسمع لوما

أنا قلبٌ مصورٌ من سلامٍ

لم أرشّ في الخفاء للناس سهما

انا اشدو بالخير لحنًا جميلاً

لم انفس ما مضى بالشر لؤما

انا بين الرجال انفٌ عزيزٌ

لست أرضى لغير ربِّي حُكما

يا لذكــرى (ثاني وعــشــرين يوليــو)

انتِ كــالروحِ لي وأقــربُ رحــمــا

وحينما يتلفت حوله، ويجد من دونه علمًا ومعرفة، قد ارتقى لسدة لا يستحقها، لأنه غير مؤهل لها، الأمر الذي حدا به أن يقول، تحت عنوان (الحياة والشاعر):

رقــد الليلُ ونام السَّــامــرُ

ورنا نحــو النجــومِ الشــاعــرُ

ســاهدٌ في مــعــبــد الفنِّ يصــو

غُ اناشــيــدَ الأمــاني ســاهر

عــاثرُ الحظِّ يروم النجمَ كَــيـ

ـفَ ولم يدركْ مــداهُ الناظر

هدفٌ ترمــيــه أيدي الدهر مــا

شــانُهُ، مــا أمــسُــهُ مــا الحــاضــر؟

إلى أن ينتهي إلى قوله متهدجًا أسيًا:

صــادحٌ والخــيــرُ أنشــودتُهُ

والحــيــاةُ الشــرُّ فــيــهــا.. الظافــرُ!

جَــدٌ والحــرمــانُ في أعــقــابه

وجــلالُ العــيشِ منه ســاخــرُ

ثم يطلق هذه الزفرة الملتاعة، في البيت الأخير من القصيدة:

آهِ من دهري ومن أشــجــانِهِ

ضَلَّ في فــهــمِ الحــيــاةِ الخــاطرُ

وفي ختام مقالنا نقول: حيًا الله أديبنا الكبير العلامة، نخر الأزهر، الأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي وبارك فيه وعليه وبالله التوفيق.

****

الرؤية الإبداعية في فكر الدكتور خفاجي(*)

أ. د. حسن البنداري

أقامت «رابطة الأدب الحديث» المصرية بمقرها في القاهرة مهرجانًا أدبيًا لتكريم رئيسها العالم الكبير والناقد الأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي، بمناسبة بلوغه الثمانين. وقد تحدث عنه في هذه المناسبة عدد كبير من الباحثين والشعراء ينتمون إلى مصر ودول عربية وإسلامية عدة حيث تشير قائمة المهرجان «التي أطلعني عليها الصديق الشاعر حسن توفيق» إلى أن الباحثين الذين قدموا دراسات عن أعماله قد بلغ عددهم خمسة وثلاثين باحثًا، بينما تناوله شعرًا اثنا عشر شاعرًا.

وقد سعدت كثيرًا بهذا الاحتفال الكبير، لأن المحتفى به جدير بالتكريم حقيق بالثناء، بل إنه يستحق المزيد من التكريم والثناء. وهنا أدعو إلى أن تتسع دائرة الاحتفاء به، بأن تشارك «الرابطة» جمعيات وهيئات أدبية أخرى في دول عربية وإسلامية يعرفه أبناؤها ممن تتلمذوا عليه مباشرة بجامعة الأزهر، أو على مؤلفاته القيمة.

ولست أبالغ بهذه الدعوة الشاملة، لأن الرجل – كما نعلم – قد بذل الكثير من نفسه وفكره وقلبه ووجدانه في مسيرته التأليفية التي بدأت منذ أكثر من خمسين عامًا، فأسهمت في تشكيل وعي عدد غير قليل من أساتذة الأدب والنقد والتحقيق بالجامعات المصرية والعربية والإسلامية، والواقع أن دعوتي هذه لم تنشأ من فراغ، فهي تستند إلى «مؤلفاته» المتنوعة، و«تحقيقاته» الدقيقة، التي يمكن حصرها في سبعة محاور:

أما المحور الأول فيتمثل في «المؤلفات الإسلامية». ومنها: تفسير القرآن الكريم – موسوعة ألفاظ القرآن الكريم – الإسلام والعصر – الإسلام والحضارة الإنسانية – الإسلام ونظرية الاقتصاد.

(*) جريدة الراية القطرية ١٩٩٥/١٢/٢ .

وأما المحور الثاني فيتعين في «الكتب التي تناول فيها الأدب القديم» وهي كثيرة، ومنها كتاب التطور والتجديد في الأدب الأندلسي.

ويتمثل المحور الثالث في كتبه عن «النقد العربي القديم» ومنها ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان - أصول النقد - مدارس النقد - أبو عثمان الجاحظ - الفكر النقدي والأدبي في القرن الرابع الهجري.

ونلتقي بالمحور الرابع في كتبه عن الأدب والنقد في العصر الحديث - قصة الأدب في ليبيا - البناء الفني للقصيدة العربية - قصة الأدب المهجري - تاريخ الأدب العربي الحديث - رائد الشعر الحديث.

وأما المحور الخامس فتعكسه الكتب التراثية التي نهض بتحقيقها وهي: فصيح ثعلب - البديع لابن المعتز - قواعد الشعر لثعلب - فحولة الشعراء للأصمعي - نقد الشعر لقدامة - دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة - إعجاز القرآن للباقلاني - سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي - رسائل ابن المعتز - شفاء الغليل للشهاب الخفاجي - ديوان المتنبي، مع د. عبدالعزيز شرف - ديوان الإمام علي - ديوان الشافعي - الإيضاح للقزويني.

ونقف على المحور السادس الذي يتمثل في مؤلفاته عن «الإعلام الإسلامي» وقد اشترك معه في إنجازه الدكتور عبدالعزيز شرف ومنها: السيرة النبوية والإعلام الإسلامي - النحو لرجال الإعلام - نحو بلاغة جديدة.

وينحصر المحور السابع في «الإبداع الشعري» فقد أصدر حتى الآن ستة عشر ديوانًا مطبوعًا.

وتدلنا هذه المحاور على مدى الجهد الذي بذله الدكتور خفاجي، وهو جهد متنوع يجد فيه طلاب الدراسات العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه مجالات واسعة للدرس والتمثيل خاصة أن هذه المحاور تنطوي على جوانب متمايزة يستطيع الباحثون من خلالها أن يكشفوا للقارئ العربي وغير العربي عن الكثير من القيم الأدبية والنقدية كما أن هذا التنوع كان وما يزال دافعًا إلى أن يتناول إنتاجه باحثون من العالمين العربي والإسلامي،

على نحو ما تحقق في السنوات الأخيرة، وما عكسته البحوث التي درست هذا الإنتاج وقدمته في مهرجان تكريمه في يوليو الماضي. ويمكن للمتأمل في مسيرة د. خفاجي العلمية والإبداعية أن يستخلص عدة دوافع لإنتاجه الغزير، تنطلق من شخصية فذة تتميز بالمثابرة، وتتصف بالطموح، وتتسم بالتفتح، وتعتصم بالرغبة الصادقة في إثراء حركة الفكر العربي الإسلامي المعاصر.

ويبدو الدافع الأول في أنه أدرك منذ بداية حياته التأليفية أهمية الدور الخطير الذي يجب أن ينهض به رجال الأزهر الشريف في مواجهة «التحديات المضادة» لمسيرة «الأزهر» العلمية والحضارية المتميزة، التي كانت تظهر بين الحين والآخر. ومن ثم عمد – مع سواه من المخلصين الأصلاء – إلى دعم هذه المسيرة والتمكين لها، وإعلاء صوتها. ولذلك جاءت مؤلفاته عن «التراث العربي الإسلامي» و«تحقيقاته» لتنشط دور الأزهر بمؤسساته التعليمية المختلفة في المحافظة على التراث الفكري والأدبي للعرب والمسلمين، بينما جاءت مؤلفاته عن قضايا الأدب الحديث ومشكلاته لتعقد الصلة بين الدور «الأزهري المحافظ» والتوجهات الفكرية الحديثة.

ويتجلّى الدافع الثاني في أنه اضطلع بمهمة «الانفتاح» على ما هو خارج أسوار الأزهر وذلك بحرصه على أن يشارك في الحياة الثقافية بتقويم العديد من الأعمال الإبداعية والنقدية، ليثبت بذلك إسهام الدور الأزهري في تشكيل المشهد العربي المعاصر[1].

ويبرز الدافع الثالث في أنه قد أمد الحركة الإبداعية العربية بمجموعة من الدواوين الشعرية مؤكدًا بذلك الوجود الأزهري الإبداعي، الذي عبرت عنه أيضًا أشعار كل من إبراهيم البديوي، ود. أحمد الشرباصي. ود. حسن جاد، ود. يوسف القرضاوي، ود. محمد أحمد العزب، ود. أحمد عمر هاشم، ومحمد بدر الدين، ومحمد إبراهيم أبو سنة، وغيرهم.

---

(١) الراية القطرية عدد ٤٩٦١ في ١٩٩٥/١٢/٢م.

ونقف على الدافع الرابع في أنه قصد بأن تكون مؤلفاته - كما صنع عدد غير قليل من أساتذة جامعة الأزهر - نافذة واسعة يطل منها من هم خارج أسوار الأزهر، ليروا في ساحته العديد من النقاد والمبدعين، الذين يؤدون في هدوء دورهم المؤثر في تطوير الحركة النقدية والإبداعية.

وقد اخترت من إنتاجه القيم عملين هما «مقدمة» تحقيق كتاب الإيضاح للقزويني، وكتاب «الفكر النقدي والأدبي في القرن الرابع الهجري» وذلك بغرض الكشف عن الداعي إلى إصدار هذين العملين.

أما المقدمة - وموضوعها «نشأة البلاغة العربية ومراحل التأليف فيها» - فيرجع سبب تأليفها - في تقديري - إلى إحساس د. خفاجي المبكر بقيمة الدرس البلاغي أو البياني الذي عالجه بلاغيونا العرب القدامى، وإلى إدراكه أن هذا الدرس يعتبر أساسًا أوليًا أو مبدئيا يعد في مقدمة أسس تكوين «الناقد العربي» في الأزمنة الحديثة أو المعاصرة، إذ لا يمكن أن ينجح ناقد عربي حديث في أداء مهمته النقدية إذا كان جاهلاً بتراثنا البلاغي والنقدي. وقد توافق هذا الإحساس المبكر والتقى مع جهود بعض النقاد العرب المحدثين الذين استرشدوا بأفكار هذا التراث، أو عقدوا الصلات بينه وبين الإنجازات النقدية الأوروبية القديمة والحديثة في فترات زمنية متقاربة منذ عشرينيات القرن العشرين، على نحو ما يتعين في مؤلفات عدد من رواد النقد العربي الحديث، ومن وليهم من الباحثين والنقاد ممن قضوا سنوات دراسية غير قليلة في معاهد الأزهر قبل إتمام دراساتهم بجامعات أخرى والعمل بها. مثل د. طه حسين، وأحمد أمين وأحمد الشايب، ود. إبراهيم سلامة، ومحمد خلف الله أحمد، ود. محمد غنيمي هلال، ود. أحمد أحمد بدوي، ود. الطاهر مكي، ود. عبدالحكيم سرحان، ود. محمود الربيعي، ود. يوسف نوفل، ود. محمد عبدالمطلب.. وغيرهم.

وأما كتاب «الفكر النقدي والأدبي في القرن الرابع الهجري» فيعود سبب إنجازه إلى حرص المؤلف على الجمع بين هذين الفكرين في مجلد واحد بغرض أن يقدم إلى القارئ الحديث صورة متكاملة ومركزة للجهد العربي الإسلامي في ميداني «النقد والإبداع»،

فيتمكن بذلك من الوعي بطبيعة المشاركة العربية الإسلامية، المتمثلة في «نقد مستقر»، و«إبداع طموح»، لينشأ عن ذلك – بالضرورة – تقليل جهده في البحث عن رؤية إبداعية أو اتجاه فكري قد يشير إليه هذا الناقد أو ذلك في نفس الحقبة الزمنية الجامعة لكل من الممارسة النقدية والنشاط الإبداعي، كأن يرجع بسرعة – مثلاً – إلى القسم الثاني من الكتاب ليقف على الجو الفكري لشعر البحتري الذي شكل ميل الآمدي إليه في القسم الأول، أو ليتعرف على قضايا شعر المتنبي الذي أثار إعجاب الجرجاني به في هذا القسم، أو ليتابع بسهولة في القسم الثاني تأثير أفكار ابن مسكويه «المتناولة بالقسم الأول» – في بعض الفلاسفة الأوروبيين أمثال «اسبينوزا» و«جورج مور».

ويمكننا القول باطمئنان في ضوء ما تقدم – إن هذا العالم المستنير يمثل بحق مدرسة علمية معاصرة ومتطورة لا في مصر فقط بل في العالمين العربي والإسلامي، مما يدعونا إلى حث الباحثين على دراسة «المحاور الأدبية والنقدية والتوثيقية» التي أفصحت عنها مؤلفاته، وذلك للكشف عما تحتوي عليه من قضايا، وما تشتمل عليه من أفكار أسهمت وما تزال تسهم في إثراء الوعي الإبداعي، والرؤى النقدية اللذين يتشكل منهما المشهد الثقافي الفكري العربي في العصر الحاضر.

****

الخفاجي في الفكر الأوروبي(*)

(١)

(في السلسلة العالمية الدولية للمفكرين International who of Intellectuals)

في صفحة (٥٦٠) من المجلد السادس من هذه السلسلة التي تصدر عن المركز العالمي للسيرة الذاتية – بكمبردج – إنجلترا تحت عنوان: محمد عبدالمنعم خفاجي، قالت:

تسلَّم وسام العلوم والآداب والفنون من الدرجة الأولى من الرئيس مبارك رئيس جمهورية مصر العربية عام ١٩٨٣م.

وهو دارس للأدب والشعر والتاريخ وقد أصدر حتى الآن حوالي الخمسمائة كتاب في كثير من المواضيع خاصة الأدب والشعر والتاريخ والإسلاميات مثل: قصة الأدب في مصر – حقوق الإنسان في الإسلام – أغنيات من عبقر.

وبالإضافة إلى الكتابة، والاشترك في كثير من ألوان النشاط فإنه يقضي الكثير من وقته للإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه المقدمة للجامعات المصرية، وهو رئيس لرابطة الأدب الحديث في القاهرة، وخبير بمجمع اللغة العربية، وعضو في كثير من الجمعيات الأدبية والثقافية في شعبة الآداب بالمجالس القومية المتخصصة وفي مجلس إدارة اتحاد الكتاب بالقاهرة.

وهو من مواليد المنصورة وحصل على الليسانس عام ١٩٤٠م، وعلى الدكتوراه عام ١٩٤٦م من جامعة الأزهر. وعمل مدرسًا للغة العربية في الليسيه فرانسيه بالقاهرة

(*) نقلاً عن زهران جبرا، صفحات من الفكر المعاصر، ص ١٩.

عـام (١٩٤٤ - ١٩٤٦م) وفي المعـاهد الأزهرية الثـانوية (١٩٤٦ - ١٩٤٨م) وفي عـام ١٩٤٨م رشح للتدريس في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر وقد تولى عمادة كلية اللغة (١٩٧٤ - ١٩٧٨م).

(٢)

وكذلك وردت جمل قصيرة عنه بهذا المضمون في سلسلة (٥٠٠٠ شخصية من العالم) التي تصدر من المعهد الأمريكي للسيرة الذاتية في كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة.

****

الخفـاجـي في عيون الشعراء

فكر الخفاجي(*)

من الشاعر حامد الجوجري

دعْ حـــــــديثَ الـسِّـنينَ والأيـام
ليس عـــمْـــرُ الأديبِ بـالأعـــوامِ
إنمـا عـــمْـــرهُ بقـــدرِ عطـايا
هُ ليـــرقَى بـالفكرِ والأفْـــهَـــام
إنَّهُ الغـــيثُ مـــا هَمَى ينشـــرُ الخِـصْـ
ـبَ حـــيـــاةَ الـوهـادِ والآكـــام
إنَّهُ الشـــمسُ مـــا بدَتْ تنشـــرُ النُّو
رَ شُـــعـــاعًـــا يشقُّ جـــوفَ الظلام
إنَّهُ الـروحُ قـــوةً وحـــيـــاةً
للقلـوبِ الظُّمْـــأى ولـلأحـــلام
إنَّهُ الأمـنُ للـنفـــوسِ الحـــيـــارى
إنه البُـــرءُ من عَـــصِيِّ السُّـــقَـــام
إنَّهُ لـلشُّـــعـــوبِ نـبضُ حـنـايا
ها وبفَـقُ الـدمـــاءِ في الأجـــســـام
وهُـدَاهـا الـذي يـضـيء لـهـــا الـدَّرْ
بَ فـــتـــســـعى في عـــزّةٍ ووئـام
ليس داعٍ يـصـــولُ بـالبـــأسِ والنَّا
رِ كـــداعٍ يـصـــولُ بـالأقـــلام
ذاك يـبـنـي وذاك يُـفـنـي ولـيـــســت
تـتـــســـاوى البـنـاةُ بـالـهُـــدَّام

(*) نقلاً عن ماجد خفاجي، دراسات معاصرة في الدين والأدباء والحياة، ص ١٢٩.

كم بنى للحـــيـــاةِ فكرُ (الخَـــفَـــاجيْ)

مِن صـــروحٍ مـــشـــيـــدةٍ ومـــقـــام

عـــاشقٌ كـــالأفـقِ يُنبِتُ الأنجـمَ الزُّهْـ

ـرَ ويرعى مـــســـالكَ الأعـــلام

وســـعى في هداهُ جـــيلٌ، فَـــجِـــيلٌ

وارتـوى مـنـه كـلُّ صـــادٍ وظـامـي

لـم يـزدْهُ ثـوبُ الـثـــمـــانـينَ إلا

جـــدَّةَ الـفكرِ واقْـــتِـنـاصِ المرامـي

لـم يزل قلبُـــهُ يُفـــتِّحُ للحُـــسْـ

ـنِ كـــزهرٍ يندى بصـــوبِ الغَـــمـــام

كلَّمـــا جـــئـــتُـــهُ تنسَّـــمتَ منه

نفـــحـــةَ الأمنِ والـرِّضـــا والســـلام

****

الوشاح المفوّف(*)

للشاعرة عاتكة الخزرجي

قِفي مصرَ إجلالاً له ثم فَوِّفي
وشاحَيْهِ والتشريفُ قَدْرُ المُشَرَّفِ
فذا ركْبُهُ الباهي أهلَّ مُشعشِعًا
سَنًا وسَناءً فارشُفي منه وارشُفِي
وأنفاسُهُ طابتْ كطيبِ غلالةٍ
من المسكِ أو روحِ تَزكَّى بمصحف
أرى الجوَّ من روح الخَفَاجِيِّ فاغمًا
لنَنْسَمْ إذن روحَ الصَّفَاء ونَغْرِف
محمدُ يا نُعْمى مِن اللهِ أفْرِغَتْ
على العلم والآدابِ في كلِّ مُتْحف
كنورِ الرُّيا أو كالأهلَّةِ في الدجى
وكالنور دَفَّاقًا بروضٍ ونَفْنَف
فنيتَ عطاءً في الأنامِ ولم تكنْ
فتًى أثِرًا يزهَى بعلمٍ مُزَيَّف
ألا فَسَلُوا عنه الطُّروسَ تُجِبْكُمُ
بكلِّ ازدهارٍ إنه زينُ أحرُفي
تلاميذُهُ في كلِّ شرقٍ ومغربٍ
شهودٌ له تبقى به الدهرَ تحتَفِي..
رواةٌ دعاةٌ للخفاجي لا تني
تُطَمْئِنُ جيلاً جاء جَمَّ التَّشَوُّف

(*) المصدر السابق، ص ١٣٠.

ومنه اسْـتَـقَتْ من سلسلِ العلم عـذْبَةً
أســانيــدُهَا جــاءت بألفِ مُــصَنِّف
ألا كـــرِّمُـــوا هذا الإمــامَ فـــإنهُ
جليلٌ كــبــيــرُ القلبِ جَمُّ التَّــعطُّف
إذا شـــاء ضمَّ الخـــافــقَينِ بقلبـــهِ
وإن شـــاء أجـــزى العلمَ عنه بأحـــرف
جليلٌ نبــيـــلٌ ناسِكُ الروح نـابِهٌ
حــبــيبٌ قــريبٌ كــالنَّدى المتـــألف
مــعــانيــهِ كُــثْــرٌ ليس تُحـصى وإنما
تطيبُ بتـــعـــدادٍ وتحلو لمنصِف
لِتَـــهْنَ به الآدابُ والعلم والحِـــجَـــا
ويَهْنَ به التـــأريخ في كلِّ مَـــشْـــرَق
وتَهْنَ به مــصـــرُ الحــبــيــبــةُ إنهـــا
هي الأمُّ فلتــفـــخـــرْ به ولْتُــشَـــرَّف
وهَنُّوا به دنيــــا العـــــروبةِ إنه
فــتـــاها ووفُّـــوا فـــالوفـــاءُ لمن يفي
وأهدوا التَّـــحـــايا للخـــفـــاجيِّ إنه
قـــريبٌ على رُغم اللقـــاء المســـوَّف
حـــبـــيبٌ إلينا رُغمَ أنفِ عُـــداتِنَا
عـــزيزٌ علينا رُغمَ عنفِ المعنِّف
ويبـقى على الأجـيـال ذكـرًا مـخلدًا
كنبعِ الصَّـفـا ثلّ الهـوى والتَّـصـوُّف
محـمـدُ يا مـوسـوعـةَ العلم دُمْ لنا
وللشِّـعـرِ نقَـادًا كـأبرعِ صَـيـرفي
ودُمْ كـشَـمـيمِ الروض باكَـرَهُ الحَـيَـا
فـحَـيَّـا وأحـيَـا روحَـهُ كلُّ مُـقْـتَـفِي..

*****

إلى شاعر ديوان أشواق الحياة(*)

د. إبراهيم أبوالخشب

لَشِعْرُكَ هذا نفْحَةُ الآسِ والوردِ
سَرَتْ في ليالي الصيفِ وهنانةَ القَصْدِ

وعطَّرَتِ الآفاقَ حَولِي فلم أقلْ
«ألا يا صَبَا نجدٍ متى هجْتِ من نجدِ»

قرأتُ به لفظًا أرقُّ من النَّدى
وأقْوَمُ من عودِ الأراكةِ والرَّند

وَظَلْتُ أجيلُ الطَّرفَ فيه وأنتشي
بما فيه من معنًى كطيفِ الهوى عندي

ولم أدرِ أنَّ السِّحْرَ بعضُ خِلالِهِ
وأنَّ له عقلي سيذعنُ عن عَمْد

أصاخَ إليه ثم صار لجِذمهِ
أميرًا فما يخفي هناك وما يُبدي

ومَن كان من وادي خفاجةَ لم يزلْ
له في البيانِ الحلوِ واسطةُ العقد

محمدُ هذا شِعرُ شيخٍ تمرَّدَتْ
عليه القوافي حينَ أصفَيتُها وُدِّي

فخذْ من أخيكَ الحقَّ بعضَ وفائهِ
على البعدِ.. إن الودَّ ينمو على البعد

****

(*) المصدر السابق، ص ١٣٢.

إلى الجاحظ الثاني(*)

للشاعر كامل أمين

حَيِّ العميدَ (خفاجةً) والأزهرا

والضَّادَ وهْوَ يهزُّ فيه المِنبَرا

كليةُ اللغةِ استعادتْ مجدَها

و(الجاحظُ) افْتَرشَ الزَّمان وكَبَّرا

أدبُ العميدِ (ابن العميدِ) وما رأى

إلا (خَفاجَةَ) بعدَهُ في ما رأى

متصوِّفٌ في معبدِ العلمِ الرفيعِ

يحيِّرُ العلماءَ في ما فكَّرا

علمُ الكلامِ رواقُهُ وبساطُهُ

فِقْهُ النُّحَاةِ إذا أفاضَ وفسَّرا

إنَّ الحياةَ العلمُ والعلمُ الحيا

ةُ وقيمةُ الإنسانِ أن يتحرَّرا

هذان معنى الآدميةِ لو يعيْ

شُهُمَا المربي عالمًا ومفكّرا

الجيلُ بين يديه يأخذُ منه ما

يعطي بقَدْرِ نَدى المضيفِ من القِرَى

حتى إذا فاضتْ به جنباتُهُ

وانداحَ غمْرُ العلمِ فيه تبحَّرا

(*) المصدر السابق، ص ١٣٣.

وتعـــمُّقَ الغـــواصُ في أعـــمـــاقِـــهِ

مـــســتــخــرجًــا للناسِ منه الجــوهَرا

يا فـــارسَ الأدبِ الرفـــيعِ وكـــاتبَ الْـ

أجــيــالِ لو زحم الخــيــالُ الأعــصــرا

قلمٌ كـــرمحِ النُّدبِ صَـــعْـــدَتُهُ النُّهى

وقناتُهُ تمتــــــدُّ نحـــــوكَ أسطرا

وكـــأنما أوراقُـــهُ رأدُ الضُّـــحَى

لو لامس الأعـــمى بهنَّ لأبْصَـــرا

لا تعــجَــبُــوا إن زارَ شِــعــريَ بحــرُهُ

لولا القـــوافي مـــا عـــرفنا الأبْحُـــرا

بعضُ الهـــوى من بعـــضِـــه حــسيٌّ إذا

شمُّ الشَّـــذا هزَّ القـــريضَ وشـــمَّـــرا

ريحُ اللطيـــمـــةِ في الرياحِ مَـــبـــاخِـــرٌ

يســـتنشقُ المزكـــومُ منهـــا العنْبَـــرا

يا صـــاحـــبي في كلِّ مـــوقفِ عُـــســـرةٍ

وأخي إذا الأخُ فـــاتني وتغـــيَّـــرا

أنا من بلوتُ النـاسَ والدنيـــــا إذا

حظِّي كَـــبـــا في الضَّنْكِ بي وتعـــثَّـــرا

كم كنتُ أرجـــو من زمـــاني بســـمـــةً

حـــتى رأيتُك فـــيـــه فـــابتـــسمَ الورى

*****

رفيق الكفاح(*)

ابونغم محمود شاور ربيع

رفـيــقِي في الكفــاح وفي الجــهــادِ
رعـــاكَ اللهُ مـــرفـــوعَ العـــمـــادِ
وأبقى اللهُ شــعـــرَكَ نورَ هَدْيٍ
يقــودُ العـــالمينَ إلى الرَّشَـــاد
ويهـــدي السَّـــالكينَ إلى فـــلاحٍ
ويهـــدي العـــالمينَ إلى سَـــداد
أتـذكـــرُ يـا أخـي أيـامَ كـنَّـا
نُقَــضِّي الليلَ في همٍّ السُّـــهــاد
نـنادي الغـــائبينَ ولا مُـــجِـــيبٌ
وإنْ طالَ التـــشـــوُّقُ والتَّـنادي
لقـــد بَعُـــدَ المزارُ وشطَّ نـأيٌ
وأُبعِـــدْنَا بأجـــوازِ البَـــوادي
أقـــمـنا رُغمَ أســـوارٍ عكـاظًا
وجـــاء الشـــاعـــرونَ لخـــيــرِ ناد
و«بدرُ الدينِ» ينشـــدُ عن يمينٍ
وأنـت تَـبِـينُ أســـرارَ المـراد
وتنشـــدُ من لحُـــونِك في «وفـــاءِ»
وتبـــدي مـــا تحـــجَّبَ في الفـــؤاد

(*) المصدر السابق، ص ١٣٤.

«خــــفـــاجَـــةُ» يا أخفُّ الناسِ ظلاً

وأصـــدقَـــهُمْ وأصـــفَى في الوِدَاد

مَـــلاتَ الأرضَ أنوارًا وعِلْمًـــا

وأشـــعَـــارًا ترِقُّ بكلِّ واد

عـــجـــيبٌ أنت تكتبُ كلَّ شيءٍ

وتُبْـــدِعُـــهُ ومَـــالكَ من نفَـــاد

فـــأنتَ البـــحْـــرُ يمنحُ خـــيـــرَ دُرٍّ

وأنتَ البـــحْـــرُ مـــوفـــورُ الأيادي

*****

في تكريم الخفاجي(*)

شعر هلال ناجي

يا مصرُ يا وطنَ الثقافةِ مرحبا

جئناكِ نعشو نحوَ نوركِ كوكَبَا

جئنا نُكَرِّمُ فيكِ شاعرَ يَعْرُبٍ

وبه نُكرِّمُ في الكِنانةِ يَعْرُبا

في مهرجانٍ للعروبةِ قد تَخَذْ

ناهُ على حبٍّ العروبةِ مَذهَبا

في موكبِ الشِّعرِ الرفيعِ ومَجْمَعِ الشُّ

شُعراءِ حيَّتهُ المدائنُ موكِبا

*****

(*) المصدر السابق، ص ١٣٦.

لمثلكَ ينحني الزمن احتراماً(*)

الشاعر ياسين الفيل

ولم أرَ في الحياةِ سِواكَ نجماً
تفرَّد في العطاءِ وفي المواقفْ
تفرَّدَ في المحبةِ.. لا يُبَالي
- إذا ما جاد - إن الحبُّ جَارف
صحائفُهُ التي نضَحتْ سُلافاً
بدنيانا، تُطَمْئِنُ كلَّ خائف
ورحلتُه مع الإبداع تقضي
بأن الصدقَ يكشفُ كلَّ زائف
عجبتُ له.. يؤلِّفُ نصفَ ألفٍ
من الكتْبِ التي ازدهرتْ معارف
وفي ملأِ التَّواضعِ حين يبدو
أمامَ الناسِ - في ثقةٍ - يخالف
أراهُ.. فيستحي وكٌّ بقلبي
ولكني أميل مع العواطف
أُقَبِّل راحتيه.. وليت حبِّي
يُجنِّبُ فرحتي لفحَ العواصف
.. أنا يا أيها الأدبُ المصفَّى
أمام اللهِ أقسمُ - غيرَ خائف

(*) المصدر السابق، ص ١٣٧، ١٣٨.

لمثلكَ ينحني الزمن احتـرامًـا

ولايعنيـه.. إنْ غضِبَتْ زعانِف

✡✡✡✡

إليكَ أجيءُ.. لكنْ.. كيف أبدو

وليس بجعبَتي غيرُ السَّفاسفْ

وهذا العمرُ يطرحُني بقايا

زمانٍ فرَّ مني غيرَ آسف

ترى.. أتجوزُ تهنئتي؟ وهذي

أغاريدي بهنَّ كَبَتْ مَعازف؟

أنا والعيدُ حولَك.. لست أهفو

لما فوقَ البراقعِ مِن زخَارف

ولكنِّي تؤرِّقُنِي بقايا

خيالاتٍ بها انحرفتْ مواقف

فطبْ نفسًا بصدقِكَ.. واحتَملْنِي

حبيبًا في محبَّتِه يُجازِف

ولا تدعِ المريدَ يذوبُ وجْدًا

إذا ما طاف بالنفَحَاتِ طائف

أنا ما زلتُ يدفعُني اشتياقٌ

إليكَ.. وبي يغامرُ ألفُ هاتف

فخذْ بيدي لحوضِكَ علَّ فيضًا

مِن الرَّحَمَاتِ يغمرُ مَن يصادف

حبيبَ الأتقياءِ يطولُ شوقي

إليكَ وتستبدُّ به العواطف

وهأنذا أجيء وفي الحنايا

هوًى، ما زال كالإعصارِ جَارف

أرددُ لحنَ عـيـنِكَ.. مـسـتـعِـيـدًا

عطاءً عــاش يكشفُ مَن يُخـــالف

فــلا تبـخلْ عليَّ.. وكنْ شـفـيـعي

أمــامَ الصِّــدقِ يا أدبَ المصــاحف

وبمـتَ لـنـا.. ودامَ لـنـا سُــــــلافٌ

إليــهِ تحجُّ.. مـــا ظمـئتْ.. طوائف

****

المحتـوى

نماذج من شعر الخفاجي

صور من كتابات الخفاجي ونقده

الخفاجي والصحافة

كتابات عن الخفاجي

الخفاجي في عيون الشعراء

****

هذا الإصدار

بمناسبة احتفال مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بمرور عشرين سنة على إنشائها وانطلاقتها للمرة الأولى من القاهرة في العام ١٩٨٩، نتذكر باحترام الجهود الخيرة للأيادي البيضاء التي امتدت بحب للأخذ بيد المؤسسة ومساعدتها في هذه المرحلة الحاسمة.

وقد رأت المؤسسة أنه من الوفاء أن تحتفي باثنين واكبا هذه المرحلة، مرحلة إنشاء المؤسسة، حيث أسهم كل منهما بما لديه من جهد وفكر وخبرة، مما رسخ أقدامها حتى استوت على سوقها.

والرجلان هما الشاعر عدنان الشايجي أول أمين عام للمؤسسة.

والثاني هو الشاعر والناقد الأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي، الذي ومن خلال موقعه في رئاسة رابطة الأدب الحديث في القاهرة، مدّ يده للمؤسسة معيناً فأسهم في جهود التأسيس والتشكيل.

وهذا الكتاب تصدره المؤسسة وفاء للرجل الذي ساندها في بداياتها الأولى.



مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الكويت 2009